

العلم من الأدب والشجرة



الْأَنْوَارُ

تَارِيْخُهُمْ وَآدَبُهُمْ

إعداد
جياني جفنا

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الاعلام من الادباء والشعراء

الخوازج

تَارِيْخُهُمْ وَأَدَبُهُمْ

إعداد

عَلَيْيَ جَفَّا

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

ما يظهر - وهذا أمر طبيعي - من تمايز في درجة الإبداع والتطور من جهة، أو التراجع والانحطاط من جهة أخرى.

إن نتاجنا الأدبي ، الذي يمتد إلى حوالي مئة وخمسين سنة قبل ظهور الإسلام وحتى اليوم ، يشكل سلسلة متراقبة للحلقات ، فيها السمين ، وفيها الغث ، ولكنها جمیعاً مشدودة إلى بعضها البعض بأمن العلاقات وأوثقها.

من هنا كانت الغاية من اعداد هذه الدراسة عن «الخوارج وأدبهم» وهي تقديم ما يفي بغرض التعرف إلى هذه الفرقة الإسلامية وأدبها ، شعراً ونثراً ، من خلال التعرف على عصر أتباعها وتاريخهم السياسي وأهم أدبائهم ومعرفة خائص هذا الأدب العامة ، معززة بشواهد من آثارهم الأدبية ، متوكلاً في كل ذلك الموضوعية في البحث والتحليل ، والأمانة العلمية في الاستفادة من المؤلفات والكتب التي تناولت تاريخهم وأدبهم وأخبارهم ، والله ولني التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين،
وبعد

إن النتاج الأدبي لأي أمة من الأمم - ماضياً وحاضراً - هو أحد أشكال التعبير عن الذات في هذه الأمة. هذا التعبير الذي نستطيع من خلاله معاينة المستوى الفكري والثقافي والاجتماعي لتلك الأمة في مرحلة من مراحل نشوئها وتطورها.

ثم إن هذا النتاج هو بعض ثمار الماضي لمستوى تلك الأمة الحضاري في لحظة من لحظات وجودها، كما أنه يشكل البذرة الأساسية لما سوف تتجه في المستقبل؟ ذلك أن العلاقة بين القديم والجديد، في الأدب كما في الحياة، هي علاقة تواصل وترابط، لا علاقة انفصال وانقطاع، رغم



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

رابط بديل
lisanerab.com

جميع الحقوق محفوظة
لدار اللسان العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١ - ١٩٩٠ م

يلبس: دار اللسان العلمية، بيروت، لبنان
مرتب: ١١/٩٤٤ تلوكس: ٠١٢٤٣١٢
هاتف: ٢٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

أولاً: نظرة في التاريخ الإسلامي حتى ظهور الخوارج.

١ - زمن الرسول ﷺ انتصار الدعوة.

مررت أحدى وعشرون سنة من المجاهدة المتصلة بين النبي وبين مشركي مكة، ومن آزرهم من القبائل، استعملت فيها كافة أنواع السلاح من الكلمة إلى الآية المتنزلة فالحديث الشريف وانتهاء بالسيف، إلى أن انتصرت الدعوة الإسلامية وعمت الحجاز من أقصاه إلى أقصاه، ودخل المسلمون مكة محطّمين أصنامها، فارضين على قبائلها شهادة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» والنبي الكريم يقف في معشر قريش قائلاً لهم: «ما ترونني فاعل بكم؟» ويجيبون: «خيراً، أخي كريم وابن أخي كريم» فيرد عليهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ولم يطل المقام بالنبي ﷺ بعد ذلك، إذ سرعان ما التحق بيaries، وسط ذهول الصحابة وال المسلمين وعدم تصديقهم النبأ، حتى ان عمر بن الخطاب وقف في المسجد ليعلن أن النبي لم

يمت وأنه إنما غاب كغيبة موسى بن عمران الذي عاد إلى أهله بعد أربعين يوماً، فينبرى إذاك أبو بكر الصديق قاتلاً بجرأة وإيمان: «..... من كان يعبد محمدآ فإن محمدآ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت».

مات الرسول مخلفاً في المسلمين تراثاً فكريّاً هائلاً تمثل بالقرآن الكريم، وب الحديث وسنة الشريفين، تاركاً لهم مهماتٍ جساماً تمثلت بإقامة الدولة الإسلامية، وترسيخ أسسها الجديدة ونشر مبادئها في عالم مليء بالمصاعب والتناقضات.

ولم يخلُّ عصر النبي من حركات احتجاج فردية كالتي يرويها بعض المؤرخين ومفادها أن رجلاً وقف على رسول الله وهو يقسم غنائم خير، فقال: «لم تعدل يا رسول الله» فغضب الرسول وقال له: «ويحك، فمن يعدل إذا لم أعدل؟» وقال أيضاً بعدها: «لو قُتل هذا ما اختلف اثنان في دين الله» ويروى في موضع آخر أن الرسول قال: «إنه سيكون من ضئضي هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

٢ - زمن الخليفة الأول: إرهاصات الخروج على الخلافة.

وهكذا وبينما الصحابة وأولو الأمر والرأي من قريش ينصرفون بكليتهم إلى الاهتمام، بجثمان النبي بعد وفاته، إذ تداعى الأنصار - وهم الذين نصروه بعد خروجه من مكة إلى المدينة مهاجراً - إلى سقيفةبني ساعدة بهدف اعلان البيعة لأحد وجههم: «سعد بن عبادة» فما كان من أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، ومن صادفاه في طريقهما إلى مكان الاجتماع إلا أن أسرعوا يحثون الخطيب قبل تفاقم الأمور ووقوع ما لا تُحمد عقباه من خلاف بين المهاجرين والأنصار على خلافة المسلمين.

وبعد مجادلات ومناظرات طويلة تمت البيعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فأصبح خليفة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه باعتراف كل الصحابة رغم محاولات بذر الشقاق التي قام بها أمثال أبي سفيان - والد معاوية - الذي حاول تحريض علي بن أبي طالب على عدم البيعة لأبي بكر بحجة أنه - أي علي - أحق

المقدس فيها^(١).

لقد ظلت خطبة أبي بكر الأولى بعد توليه الخلافة دستوراً للعلاقة الحكيمية التي يجب أن تقوم بين الحاكم والرعية حيث يقول: «أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخیرکم، فإنْ أحسنتْ فأعینوني، وإنْ أساءْ فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعف فيکم قوي عندي حتى أریع عليه حقه إن شاء الله، والقوی منکم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله أطیعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإنْ عصیتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليکم».

ولكنَّ الأمور سارت باتجاه آخر، إذ أنَّ أعداء الإسلام كانوا بالمرصاد، فما أنْ شاع خبرُ وفاة الرسول حتى عصفت بالبلاد رياحُ الردة القاسية والتي حملت في مضمونها احتجاجاً على دفع الزكاة واقراراً بإيقامة الصلاة، حيث يروي عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: «نزل عمرو بن العاص منصرفه^(٢) من عمان بعد وفاة الرسول بقرءة بن هبيرة بن سلمة، وحوله عسكر من بني عامر من افنائهم فقال لعمرو: يا عمرو، إنَّ العرب لا تطيبُ لكم نفساً بالإتاوة (الزكاة) فإنْ

(١) راجع الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة ج ١ (ص ٣٠).

(٢) منصرفه: ساعة انصرافه.

أنتم اعفیتموها من أخذ أموالها فتسمع لكم وتطيع، وأن أبيتم
فلا أرى أن تجتمع عليكم».

وقد جاءت الوفود إلى أبي بكر بذلك، ومنهم بنو
أسد، وغطفان وطيء الذين يقول شاعرهم عبد الله الديثي^(١)
أطعنا رسول الله ما كان بيننا

في عباد الله ما لا يبي بكر؟
أيورثها بكرًا، إذا مات بعده؟

وتلك لعمري الله قاصمة الظهر
وامتدت الردة إلى اليمن وحضرموت وعمان ومهرة
واليمامة والبحرين وسواها من الأقطار التي ظهر فيها أدعياء
النبوة من أمثال: الأسود العنسي، وطلبيحة والفجاءة وسُجاح
ومسيلمة الملقب بالكذاب، أو قادة القبائل من أمثال:
لقيط بن مالك الأزدي، وعمرو بن معد يكرب.

لقد خاض المسلمون بقيادة أبي بكر الحكيمة،
العادلة، حروبًا قاسية ضد هؤلاء جمِيعاً على مدى ستين
ونصف هي مدة حكم الخليفة الأول بعد الرسول وكانت كل
هذه المعارك مكللة بنصر المسلمين على أهل الردة الذين
ضعفَتْ شوكتهم واستكانتوا تحت ظل راية الإسلام إما بالتوبية

(١) هكذا يقول الطبرى، وفي الكامل للمبرد (ج ١ - ص: ٢٣٢) هذه الآيات
للخطبىة.

عن الكفر والعودة إلى الإيمان وإنما بدفع الجزية لل المسلمين مع بقائهم على معتقداتهم إن كانوا من أهل الكتاب - مسيحيين ويهود - وإنما بالموت إذا رفضوا هذه وتلك.

ولعل كتاب أبي بكر إلى قائد جيش المسلمين آنذاك، خالد بن الوليد، الذي يقول فيه: «أدع المرتدين للعودة إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجابوا فإنهم من المسلمين لهم ما للMuslimين وعليهم ما عليهم، فإن أبووا فليدفعوا الجزية وهم آمنون على عبادتهم وأموالهم، وإن رفضوا هذه وتلك، فالسيفُ بينك وبينهم حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً». لعل هذا الكتاب هو أفضل تصوير لسياسة الخليفة الراشدي تجاه الرادة والمرتدين.

ولقد مات أبو بكر، أو قُتل^(١) في السنة الثالثة عشرة للهجرة وكانت خلافته مدة ستين ونصف تقريباً، قضتها في مواجهة المرتدين عن الإسلام. وقد توفي عن عمر يناهز الثلاثة والستين عاماً.

وإذا أردنا النظر إلى حروب الرادة ونتائجها لرأينا لها فائدين عظيمتين:

(١) روي أن اليهود سmet في أرزة أو في جذيمة - قطعة لحم مطبوخة - راجع الطبرى ج: ٢ - ص ٦٦١ .

- فـمن جهة أولى كانت هذه الحروب مدرسة غنية التجربة لمقاتلي الإسلام، هيأتهم لخوض غمار حروب الفتح القادمة بعد فترة وجيزة في زمن عمر بن الخطاب والتي بلغت حدود الدولة الإسلامية فيها بلاد فارس والشام.

- ومن جهة ثانية كانت هذه الحروب مصدراً هاماً من مصادر تدفق الأموال والغنائم على المسلمين من خلال مصادرة أملاك أغنياء المرتدين الرافضين للصلح، أو من خلال دفع الجزية من قبلوا الأمان من المسلمين.

٣ - زمن عمر بن الخطاب: اتساع الدولة وتماسكها.

مع انتقال الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسارع الخليفة إلى عزل «خالد بن الوليد» عن قيادة جيش المسلمين الذي كان يخوض معارك فاصلة على جبهة الشام، ويستند هذه القيادة إلى أبي عبيدة بن الجراح الذي أخفى عن خالد أمر عزيله حتى انتهاء معركة اليرموك بالنصر المؤزر.

وتتابع أبو عبيدة تقدمه باتجاه الأردن وفلسطين وحرر بيت المقدس في الوقت الذي كانت فيه جموع أخرى بقيادة المشنِّي تتقدم لإحكام السيطرة على بلاد فارس وتتابع منها

باتجاه جرجان وطبرستان وافرستان وكرمان وسجستان على حدود أوروبا الشرقية، بينما كان عمرو بن العاص يتولى فتح بلاد النيل بادئاً بالإسكندرية.

وفي الكتاب الذي وجهه عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وهو على أبواب الإسكندرية ما يعطي فكرة واضحة عن تطلعات الخليفة: العسكرية والسياسية، الإسلامية، يقول: «..... أما بعد، فإنه جاءني كتابك تذكر فيه أن صاحب الإسكندرية عرض عليك أن يعطيك الجزية على أن تردد عليه ما أصيّب من سباباً يا أرضه، ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدهنا من المسلمين، أحبت إلى من فيء يُقسم ثم كانه لم يكن، فأعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية، على أن تخروا من بآيديكم من سببهم بين الإسلام وبين دين قومه، فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه، فأما من تفرق من سببهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن، فإنما لا نقدر على ردهم ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفي له به».

لقد امتاز عهداً عمر بن الخطاب، الذي استمر عشرة أعوام ونيفاً، باطراد المد الإسلامي وشموله أنحاء بعيدة من

المعمورة، لم يسبق لأي دولة أو امبراطورية أن وصلت إليها في فترة قصيرة كهذه، كما امتاز بتلك الثروة المادية الهائلة التي تدفقت على المسلمين من جميع أقطار الأرض فانعكست ازدهاراً اقتصادياً وتجارياً لم تعهده العصور السابقة ولا اللاحقة.

ولقد عزّز من هاتين المزيتين صفات الخليفة الخُلُقية من جهة وعدالة موافقه ليس بين المسلمين بعضهم ببعض فحسب، وإنما بينهم وبين الأمم والشعوب التي نزلت على حكمهم وباتت من رعاياهم.

ولعل تنظيم عمر لبيت مال المسلمين، وإنشاءه الديوان الخاص بذلك وتحديده لتوزيع الأعطيات على المسلمين مبتدئاً بآل الرسول ثم الأقرب فالأقرب أي المهاجرين فالأنصار فالتابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم - بشكل تراتبي من أعلى الهرم إلى أسفل قاعده، ثم التزامه الشديد بسيرة النبي وسيرة أبي بكر من حيث التقشف وعدم الأثرة والترفع عن الذات هو ما يجعل من عصر عمر بن الخطاب العصر الذهبي بلا نزاع.

وقد يكون كل ذلك وراء جريمة اغتياله المذبحة من قبل بعض يهود الجزيرة على يد «أبي لؤلؤة» مولى المغيرة بن شعبة، خاصةً إذا علمنا أن «كعب الأحبار» اليهودي، كان قد

حدَّد «أبي حفص» تاريخ وفاته قبل ثلاثة أيام من حصولها بحجة أنها مذكورة في «التوراة» وقد تم ذلك سنة ثلات وعشرين للهجرة، وكان عمره حينها بين الخامسة والخمسين أو الثالثة والستين عاماً حسب روايات المؤرخين^(١).

٤ - زمن عثمان بن عفان: الخروج على الخليفة ومقتله.

تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو صحابي جليل، وصهر النبي، الخليفة، وأصبح أميراً للمؤمنين بعد أن استحدث هذا اللقب في زمن الخليفة عمر.

وابطع عثمان سيرة السلف الصالح في تسيير شؤون الدولة وإرسال البعث لاستكمال الفتوحات ومتابعة نشر الدعوة الإسلامية، حيث استطاع والي الشام، معاوية بن أبي سفيان، غزو جزيرة قبرص وصالح أهلها على جزية مقدارها سبعة آلاف دينار سنوياً^(٢).

غير أن الأمور لم تستقيم لعثمان طويلاً، إذ أن حركات الإحتجاج والمعارضة بدأت تطل برأسها:

(١) راجع الطبرى م. س: ج: ٣ ص ١٩٠ وما بعدها.

(٢) كان الخليفة عمر قد رفض السماح لمعاوية بغزوها حرصاً على حياة المسلمين الذين لم يكونوا قد خاضوا حرباً بعد في البحر.

- من الشام أولاً، مع أبي ذر الغفارى، الصحابي، الذى وقف معارضًا لأشفان الشام، داعيًا أباهم إلى بذل أموالهم لمساعدة الفقراء. ولم يستطع معاوية - رغم حنكته الواسعة - اقناع الغفارى بالعدول عن رأيه الذى شاع في أوساط الناس حتى اضطر معاوية لإرسال أبي ذر إلى المدينة، لعل الخليفة هناك يقدر على انتزاع هذه التزعة الخطرة من صدر هذا المحرّض على إقامة المساواة بين الناس.

دخل أبو ذر على الخليفة فوجد « كعب الأحبار» عنده، ودار بين الأول والثانى حوار قال فيه أبو ذر موجهًا كلامه لعثمان: «..... لا ترضوا من الناس بكم الأذى حتى يبذلوا المعروف، وقد ينبغي للمؤذى الزكاة أن لا يقتصر عليها حتى يُحسن إلى الجيران والإخوان ويصل القرابات » فرد « كعب الأحبار» دون الخليفة: « من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه» فرفع أبو ذر محجنه (عصاه) فضربه، فشجه (جرحه)^(١).

- ومن العراق ثانية، وتحديداً من الكوفة، يقودها صاحبة الرسول فيها من أمثال مالك بن الحارث الأشتر، وثابت بن قيس، وكميل بن زياد وسوادهم.

(١) الطبرى ج: ٣ ص: ٣٣٦ .

لقد اعترض هؤلاء على سيرة واليهم، سعيد بن العاص، في أمور كثيرة كان أبرزها مسألة «سود الكوفة» الذي عدّه الوالي ملكاً لقريش، بينما اعتبره المعارضون ملكاً لها ولأهلها الذين حازوه بسيوفهم.

- ومن مصر ثالثاً، يحركها عمّار بن ياسر، أحد صحابة النبي، الذي حرض الناس على إظهار العمل بالمعروف والنهي عن المنكر في سلوك الولاة والعمال.

ارتبك الخليفة في ما يفعل أمام شدة الإحتجاج وشموله، فانطلق إلى المسجد ليعلن للملأ مواقف هي أشبه بفقد ذاتي صارم أو قل هي أشبه بالتداعيات التلقائية تخرج من صدر ضاق باليأس والمرارة، فأخذ يقول: «..... أيها الناس، فوالله ما عابَ مِنْ عَابٍ مِنْكُمْ شَيْئاً أَجْهَلُهُ، وَمَا جَنَثْ شَيْئاً إِلَّا وَأَنَا أَعْرُفُهُ وَلَكُنِّي مُتَشَنِّي نَفْسِي وَكَذَبْنِي وَضَلَّ عَنِّي رُشْدِي فَإِنَّا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مَا فَعَلْتُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ .. ».

وكادت الفتنة تنطفئ والمحتجون يعودون إلى منازلهم مطمئنين لتوبة عثمان لولا قصة ذلك «الكتاب» الذي عثر عليه أهل مصر مع غلام الخليفة وعلى جمله، ومنظوشاً عليه بخاتم الخلافة، وفيه أمر لعبد الله بن سعد - والي مصر - بالاقتصاص من قادة هؤلاء المصريين ومعاقبتهم

وسجنهم فور عودتهم من المدينة، وقد أقسمَ عثمان بأنه لا علم له بهذا الكتاب.

وهكذا تتعاظم الأمور وتتفاقم الأزمة، فلا نجد من يدفعها عن نهايتها المأساوية بقتل الخليفة في السنة الخامسة أو السادسة والثلاثين للهجرة، بعد حصار استمر أربعين يوماً، حاول فيها علي بن أبي طالب دفع الشر ما استطاع إلى ذلك ولكن دون جدوى.

٥ - زمن علي : انقسام الخلافة ونشوء الأحزاب.

لم يسبق للمدينة - حاضنة الدعوة الإسلامية - أن واجهت موقفاً كذلك الذي حدث عشية مقتل الخليفة: فالشوارع ملأى بصنوف القادمين من كل حدب وصوب، وقد ضبطوا حركاتهم وسكناتهم على إيقاع الأحداث المتواترة، المتلاحقة في كل لحظة، فغدت النفوس مضطربة لا تلوى على شيء، حيث أن مركز الخلافة بات حالياً تتنازعه ثلاثة من صحابة الرسول ووجوه قريش، بينهم علي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في المدينة، وهناك من يتربّصُها من بعيد كمعاوية بن أبي سفيان، والي الشام وما حولها، وعمرو بن العاص في فلسطين.

في هذه الأجواء الملبدة، تمت مبايعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالخلافة، وهو ابن عم الرسول، وصهره، ومن أكثر المجاهدين بين يديه إيماناً بالدعوة، وتمسكاً بالعدل، واقامة الأحكام والسنن بين المسلمين.

غير أن هذه المبايعة لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما حصلت المواجهة بين الخليفة وخصومه في معركة الجمل، بالبصرة، وانتهت بمقتل كل من طلحة والزبير، وبانقسام المسلمين بين مؤيدٍ لهذا ومؤيدٍ لذاك.

ولقد حاول علي اقناع معاوية بالإذعان للطاعة والمبايعة، غير أن الردود كانت تنذر بقرب وقوع الصدام، الذي مالبث أن نشب في صفين، وانتهى باللجوء إلى تحكيم كتاب الله في أمور المسلمين.

عندما انقسم جيش علي على نفسه: فريق مع متابعة المعركة، وأخر مع إيقافها، وانتصر الداعون إلى المفاوضة، فاختار أهل الشام عمرو بن العاص حكماً من قبلهم واختار أهل العراق عبد الله بن قيس (أبا موسى الأشعري)، حكماً لهم. ولما كتب كتاب التحكيم وأخذه الأشعث بن قيس، يطوف به على الجيșين، يقرأه لهم، ووصل إلى طائفة من جيش علي من بني تميم، فيهم عروة بن أذينة، فصاح هذا

فائلأً: «ما هذه الدنيا يا أشعث، أشرطْ أوثقْ من شرط الله عزَّ وجلَّ، أين قتلانا؟!»^(١).

وأجرت بينهما مشادة انتهت بمعادرة «عروة» جيشَ عليَّ، وهو يقول: «لا حُكْمَ إِلَّا لِللهِ»، وكانت تلك أول اشارة لولادة هذه الفرقه التي عرفت فيما بعد باسم الخوارج، والتي يتوجب علينا معرفتها فنحدد: من هم الخوارج، وما العوامل التي انتجهم كفرقة، ثم ما هي أهم فرقهم، وما هو تاريخهم السياسي منذ انطلاقه الدعوه وحتى العصر العباسي حيث تحولوا بعدها إلى جماعات دينية مسالمه، تؤمن بالتعايش مع بقية المسلمين دون اشهار حرب أو إهراق دماء.



(١) سهير قلماوي - أدب الخوارج - (ص ٢١).

ثانياً: من هم الخوارج؟

١ - في التسمية:

سُمّوا أولاً: المحكمة، لقولهم عندما اعترضوا على التحكيم «لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ».

كما سمو أيضاً: الحرورية، نسبة إلى حروراء، وهي قرية قرب الكوفة، خرجوا إليها أول الأمر.
ومن أسمائهم المعروفة:

- الشراة: ومفردها شارٍ، كقضاء وقاضٍ، من شرى بمعنى غضب، أو بمعنى أصح باع، لأنهم حسب رأيهم، شروا أنفسهم - أي باعواها - الله تعالى، أخذـاً من الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مرضاه اللَّه﴾^(١).

- أما الإسم الذي غالب عليهم فهو «الخوارج» لأنهم خرجوا على «عليٍّ» و«معاوية» وإن اسمهم مشتق من الخروج

(١) سورة البقرة: آية ٢٠٧.

اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١)، أو من قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوَلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبُّنَا أَخْرِجَنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرِيَّةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَأَجْعَلْنَا مِنْ لَدُنْكُ وَلِيًّا وَاجْعَلْنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(٢).

ويعرفهم الشهرياني، في كتابه «الميل والنجعل» يقوله: «كل من خرج على الإمام الحق، الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجياً»^(٣).

أما ابن خلدون فيشير إليهم بقوله: «إنهم خالفوا
الرجوع مع علي من صفين، وأنكروا تحكيم الرجال
..... وأتوا حروراء فنزلوها في اثنى عشر ألفاً
وقدموا شبّث بن ربعي التميمي، أمير القتال، وعبيد الله بن
الكوا اليشكري، أمير الصلاة.

وجاء في دائرة معارف القرآن العشرين لبطرس البستاني
كلام مشابه لما قاله ابن خلدون، مضيفاً: أن علياً قاتلهم
فاستماتوا في القتال حتى لم ينجُ منهم إلا أقل من عشرة.

(١) سورة النساء (آية ١٠٠).

(٢) سورة النساء (آية ٧٥).

(٣) الشهري - الملل والنحل - تحقيق محمد كيلاني - ج ١ - مصر ١٩٦١
(ص ١٦٤).

٢ - في عوامل الخروج

أ - عوامل سياسة :

كان الخوارج في جيش علي قبل مسألة التحكيم التي وافقوا عليها أول الأمر، لكنهم عندما أحسوا بأن الخلافة ستؤول إلى معاوية بنتيجةها، رفضوا القبول بنتائجها، وأعلنوا معارضتهم لعلي الذي بدا مُربِّكاً في اتخاذ الموقف بعد انقسام جيشه وخذلان معظم قادته والقراء منهم خاصة.

وهكذا أعلن الخوارج رأيهم صريحاً في مسألة اختيار الخليفة، وحددوا الشروط التالية: إن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين، وإذا اختير فليس يصح أن يتنازل أو يحُكم، وليس بضروري أن يكون الخليفة قرشيًّا، بل يصح أن يكون من قريش ومن غيرهم ولو كان عبداً حبشيًّا.

وإذا تم الاختيار كان رئيس المسلمين، ويجب أن يخضع خصوصاً تماماً لما أمر الله، وإلا وجب عزله^(١).

ثم طور الخوارج هذا المفهوم، فقالوا: إنه لا فرق بين أن يكون الخليفة رجلاً أو امرأة.

إن هذا التصور لأمر الخلافة، هو الذي ميز الخوارج سياسياً عن بقية الأحزاب التي كانت تلتقي عند شرط أساسي

(١) أحمد أمين - فجر الإسلام . ص (٢٥٨ - ٢٥٩).

ألا وهو ضرورة أن يكون الخليفة من قريش: إذ أن الشيعة يريدونها لأهل البيت، ويريدوها الأمويون لمعاوية ولابنائه من بعده، بينما يريدوها الزبيريون لعبد الله بن الزبير وأسرته العريقة من بعده.

وقد ظل الخوارج، رغم كل الانشقاقات التي حصلت فيما بينهم متفقين على هذا المبدأ، حتى إذا وجدوا بعض التغير في سياسة عمر بن عبد العزيز تجاههم، سارع أحد شعرائهم، عمرو بن ذكينة، ليقول له^(١):

فإِنْ قَصَدْتَ سَبِيلَ الْحَقِّ يَا عُمَرْ

آخِيكَ فِي اللَّهِ أَمْثَالِي وَأَشْبَاهِي

وَإِنْ لَحِقْتَ بِقَوْمٍ كُنْتَ وَاحْدَهُمْ

فِي جَذْرِ سِيرَتِهِمْ، فَالْحُكْمُ لِلَّهِ

ب - عوامل اقتصادية:

ان مبدأ المساواة بين المسلمين الذي طبقه الرسول في حياته، وشدد عليه قبل وفاته، في قوله: «..... أيها الناس اسمعوا قولي واعلموا أن كل مسلم أخو المسلم وإن المسلمين أخوة».

بدأ بالاختلال في عهد عثمان، حيث أخذ الولاية

(١) إحسان عباس - شعر الخوارج - ص(٦٩).

يوزعون الأموال على الأقرباء والمناصرين دون مراعاة لمقاييس الفضل وال الحاجة.

ولقد ناهض هذه السياسة الاقتصادية الجائرة، عدد كبير من الصحابة وذوي الرأي في المجتمع وكان على رأسهم علي بن أبي طالب الذي كانت كلمته المأثورة: «عجبت للجائع كيف لا يخرج من بيته شاهراً سيفه على الناس» ذات أهمية أكيدة في نفوس المسلمين.

وقد كان لهذه الدعوات المعارضة لسياسة الدولة الاقتصادية، يحملها أبو ذر الغفارى، وعمار بن ياسر، وسواهما، أثر كبير في دفع المحتاجين وفي تحريضهم للوقوف بوجه عمال الخلافة ولو لاتها فلا نعجب إذا برب ذلك في أدب الخوارج وموافقهم الحياتية المتعددة وفي مناظراتهم لخصومهم كما هي الحال في خطبة أبي حمزة الخارجي في المدينة حيث يقول مخاطباً أهلها: سألناكم عن ولاتكم هؤلاء، فأئتم - لعمرو الله - فيهم القول، وسائلناكم: هل يستحلون المال الحرام؟ فقلتم: نعم، ثم يقول في مكان آخر: «إنما خرجنا لنكف الفساد، ونقاتل من قاتلنا واستأثر بالفيء».

إذا، كانسوء توزيع الثروة، بعد عمر بن الخطاب، وعدم تطبيق المساواة بين أفراد المجتمع الإسلامي، نتيجته

الطبيعية : قيام حركات الاحتجاج والمعارضة لما هو قائم، ومحاولة إرساء علاقات إجتماعية سليمة بين المسلمين، تقوم على العدل والإنصاف.

ج - عوامل إجتماعية :

كان لضعف مداخليل البادية، ولازدياد فقر ساكنيها وقلة مواردهم الطبيعية لا بل انعدامها أحياناً، وكان لاستمرار انعزال البدو عن تطورات المجتمع العربي النامي في المدن التجارية، ولعدم صلتهم بما يدور من أحداث في الكوفة والبصرة ودمشق وسواها أن أحسوا بعدم الارتباط بالحكام والولاة، وهو ما فتح مجال الشك في سلامة تطبيق المبادئ الإسلامية حول العدل والإنصاف وقد عبر عن ذلك أحد شعراء الخوارج بقوله :

حتى متى لا نرى عدلاً نعيش به
ولا نرى لدعـاة الحق أـعواناً^(١)

أو في قول شاعر آخر :
وقد أظهر الجور الولاة وأجمعوا
على ظلم أهل الحق بالغدر والكفر^(٢)
حيث نلاحظ أن احتجاج الخوارج، أرتدى شكلاً دينياً

(١) عمران بن حطان .

(٢) مرداس بن أديبة .

صارخاً، وذلك بسبب أن العقيدة الإسلامية، بكل حدتها، كانت ما تزال قوية التأثير، شديدة الصلة بالقرآن، وسنة الرسول، وسيرة الصحابة، يعززها في نفوس هؤلاء، ما امتازوا به من شجاعة، ومجاهرة بالرأي في أصعب المواقف، ولعلَّ ردَّ مرداس بن أدبة على زياد بن أبيه، عندما خطب في أهل البصرة خطبته المشهورة: البراء، بقوله: «لقد خالفت ما حَكَمَ الله تعالى في كتابه إذ يقول: هُوَ لَا تَرِرُ وَازِرَةٌ وِزَرَّ أُخْرَى»، تشهد إلى أي مدى بلغ إيمان هؤلاء القوم بصحمة معتقداتهم ومدى استعدادهم للتضحية في سبيل الإعلان عنها.

٣ - تاريخهم السياسي :

زمنياً، بدأ تاريخهم السياسي عقب معركة صفين، حيث طلب إليهم علي بن أبي طالب أن يسيروا معه إلى الكوفة، فأغاروا إلى حروراء، ولقد حاول اقناعهم أكثر من مرة بالعودة إليه، لكن أكثرهم أصرّوا على موقفهم، واجتمعوا بالنهر والنهر، وكان عددهم يومئذ اثنين عشر ألفاً، فاتخذوا «شيث بن ربعي التميمي» قائداً لهم، وجعلوا «عبد الله بن الكواء اليشكري» إمامهم في الصلاة.

وقد أرسل «علي» إليهم عبد الله بن عباس حتى يردهم عن مذهبهم فقال لهم:

- ما الذي نقمت على أمير المؤمنين؟ .
- قالوا: قد كان للمؤمنين أميراً، فلما حُكِمَ في دين الله خرج من الإيمان، فليُتَبِّعْ، بعد إقراره بالكفر، نُعَذَّ له.
- قال: لا ينبغي للمؤمن لم يُشْبِطْ إيمانه شكًّا أن يُقْرَأَ على نفسه بالكفر.
- قالوا: إنه قد حُكِمَ .
- قال: إن الله عز وجل قد أَمَرَنَا بالتحكيم في قتل سيد، فقال عز وجل: «يَحْكُمُ بِهِ دَوْلًا عَدْلٍ مِّنْكُمْ» فكيف في إمامية قد أشَكَّلتْ على المسلمين؟ .
- قالوا: إنه قد حُكِمَ عليه فلم يرض .
- قال: إن الحكومة كالإمامية، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته، وكذلك الحكمان، لما خالفا نِبَذَتْ أقوابيلهما.
- فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم، فإن هذا من القوم الذين قال عز وجل فيهم: «بَلْ هُمْ قومٌ خَصْمُونَ» وتفرقوا عنه.
- واستمر هؤلاء في مضايقة «علي» في المسجد، إذ راحوا يقاطعونه كلما خطب بقولهم: «لا حُكْمَ إِلَّا لله» وكان يرد عليهم بقوله: «كَلْمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا باطل»^(١).

(١) راجع: أحمد أمين، فجر الإسلام (٢٥٦ وما بعدها) وأحمد الحروشي، أدب السياسة (٨٩).

ولم يلبث هؤلاء الخوارج أن لقي بعضهم بعضاً، واجتمعوا في دار «عبد الله بن وهب الراسي» فخطب فيهم وزهدهم في الدنيا، ووعظهم، ثم دعاهم للخروج من الكوفة بقوله: «اخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن مُنكرين لهذه البدع المضلة» فلبوا دعوته وبايعوه في شوال سنة ٣٧هـ. واتجهوا إلى النهر وان حيث لحق بهم خوارج البصرة.

وتبعهم «علي» وقاتلهم قتالاً قاسياً حتى ليروى بأنه لم ينجي منهم إلا تسعه، انهزم اثنان منهم إلى عمان، وإثنان إلى كرمان، وإثنان إلى سجستان، وإثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى اليمن، فنشروا مذهبهم في هذه الأصقاع^(١).

لقد كان لقتلى النهر وان أثره البالغ عند الخوارج فقرروا قتل «علي» ومعاوية وعمرو بن العاص، وأعدوا لذلك خطة تقضي بالقضاء عليهم في ليلة واحدة، غير أن معاوية وعمرا نجيا من القتل بأعجوبة بينما نجح عبد الرحمن بن ملجم المرادي في القضاء على «علي» وذلك في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة. وفي ذلك يقول عمران بن حطان أحد شعراء الخوارج:

(١) راجع وجدي، محمد فريد - دائرة معارف القرن العشرين م: ٦٩١(٣).

يَا ضربةٌ مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
إِلَّا لِيُبَلِّغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رَضْوَانًا^(۱)

بعد مقتل «علي» انتقلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان سنة إحدى وأربعين للهجرة، وانتقلت معها هموم محاربة الخوارج والتصدي لهم، ففي هذا العام نفسه خرج حوثرة الأسدية الذي كان متخفياً بالبنادقين وكتب إلى حابس الطائي يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير إليه بجمعه فيتناهياً على قتال معاوية، فأجابه حابس ثم رجع إلى موضع أصحاب النخلة ومعاوية في الكوفة حيث دخلها مع الحسن بعد مبايعة هذا الأخير له لقاء شروط جعلها ابن أبي سفيان دبر أذنه.

وكان من حنكة معاوية أن طلب إلى والد حوثرة أن «أكفيه أمر ابنته»، فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع فأبى فقال له أبو حوثرة: يا بُنْيَ اجيئُك بابنك فلعلك تراه فتحن إليه. فقال حوثرة: يا أبِّي أنا والله إلى طعنَةٍ نافذَةٍ أتقلبُ فيها على كعب الرمح أشوقُ مني إلى ابني، ثم هجم على القوم الذين أرسلهم معاوية لقتاله وهو يقول:

أَكْرُزُ عَلَى هَذِي الْجَمْعَ حَوْثَرَةُ
فَعْنَ قَلِيلٍ مَا تَنَالُ الْمَغْفِرَةَ

(۱) الرُّضْوان: الرُّضْيَي.

فُحْمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِّنْ طَيْءٍ وَقُتِلَ، فَرَأَى أَثْرَ السُّجُودِ قَدْ
لَوْحَ وَجْهِهِ فَنَدِمَ عَلَى قُتْلِهِ ثُمَّ انْهَزَمَ الْقَوْمُ جَمِيعاً^(١).

عَادَ الْخَوَارِجُ إِلَى الظَّهُورِ مَجَدِّداً عَامَ ثَلَاثَةِ وَأَرْبَعينَ
لِلْهِجَرَةِ بِزَعْمَةِ الْمُسْتُورِدِ بْنِ عَلْفَةَ وَكَانَ كَثِيرُ الصَّلَاةِ، شَدِيدُ
الْاجْتِهَادِ وَلِهِ آدَابٌ يُوصَىُّ بِهَا كَفُولَهُ: «إِذَا أَفْضَيْتِ بِسَرِّيِّ إِلَى
صَدِيقِي فَأَفْشَاهُ لِمَ الْمُهُمُّ لَأَنِّي كُنْتُ أَوْلَى بِحَفْظِهِ» أَوْ كَفُولَهُ
أَيْضًا: «الْمَالُ غَيْرُ بَاقٍ عَلَيْكَ فَاشْتَرِي مِنَ الْحَمْدِ مَا يَبْقَى
عَلَيْكَ».

كَانَ خَرُوجُ الْمُسْتُورِدِ فِي وِلَايَةِ الْمَغْفِرَةِ بْنَ شَعْبَةِ عَلَى
الْكُوفَةِ الَّذِي وَجَهَ إِلَيْهِ مَعْقُلُ بْنُ قَيْسٍ الرِّيَاحِيُّ، فَدَعَاهُ
الْمُسْتُورِدُ إِلَى الْمَبَارَزةِ قَائِلاً: عَلَامَ يُقْتَلُ النَّاسُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟
فَقَالَ لَهُ مَعْقُلٌ: النَّصْفُ سَأْلَتْ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ، فَاخْتَلَفَا
ضَرْبَتِينِ، فَخَرَجَ كُلُّ مِنْهُمَا مَيِّتاً.

وَاخْتَارَ الْخَوَارِجُ مِنْ بَعْدِهِ حَيَّانَ بْنَ ظَبِيَانَ السَّلْمِيِّ، وَهُوَ
مِنْ سَلْمَوَاتِ يَوْمِ النَّهْرَوَانِ، وَاشْتَرَكَ مَعَ مَعاذَ بْنَ جُوبَرٍ فِي بَيْعَةِ
الْمُسْتُورِدِ بْنِ عَلْفَةِ وَقَدْ ظَلَ حَيَّانٌ يَقْاتِلُ
الْأَمْوَيْنَ حَتَّى قُتِلَهُ جَيْشُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ سَنَةَ ثَمَانِ وَخَمْسِينَ
لِلْهِجَرَةِ^(٢).

(١) راجع المفرد، الكامل في اللغة والأدب ج ٢ (١٧٦ - ١٧٧).

(٢) راجع احسان عباس: شعر الْخَوَارِج ص (١٣٥).

ولما عجز المغيرة عن استئرة أهل الكوفة لقتال
الخوارج جمع لقتالهم جيشاً من الشيعة انتصر بواسطته،
وضرب بذلك خصميًّا معاوية بعضهما ببعض.

وفي سنة خمس وأربعين للهجرة ولئن معاوية زياد بن
أبيه أمر البصرة، ثم أضاف إليه الكوفة عام واحد وخمسين،
وقد خرج في أيامه قریبُ بن مرة الأزدي، وزحاف الطائي،
وكانا مجتهدين بالبصرة ثم خرجا يقتلان كلَّ من صادفاه حتى
بلغ خبرُهما أبا بلالٍ مرداسَ بن أديَّ وهو أحد زعمائهم فقال:
«لا عفا الله عنهما، لقد ركباهما عشواه مظلمة»^(١).

ولقد بلغ من سطوة ابن أبيه وقوته عليهم أنَّ امرأة
خرجت معهم مرة فظفر بها فقتلها ثم عرَّاها، فخثيَّت النساء
بعد ذلك على أعراضهن ولم يُعدن إلى الخروج.

ومن أخبار زياد مع الخوارج أنه كان يقتل المعلمين
ويستصلحُ المُسْرِ ولا يجردُ السيف حتى تزول التهمة، وقد
وجه يوماً أحد رجاله، بُحينةَ بن كُبِيس الأعرجي إلى رجل من
بني سعد يرى رأي الخوارج، فجاءه بُحينة فأخذته فقال: إني
أريد أن أحدثَ وضوءاً للصلوة، فدعني أدخل إلى منزلي.
قال: ومن لي بخروجك؟ قال: الله عز وجل. فتركه فدخل
فأحدثَ وضوءاً ثم خرج، فأتى به بُحينةً زياداً فلما مثُلَ بين

(١) راجع المفرد، م. س. ج ٢ (ص ١٨٠) وعشواه: مؤذن أعشى: أي لا يضر.

يده ذكر الله زياد ثم صلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير، ثم قال: قعدت عنى فأنكرت ذلك، فذكر الرجل ربه فحمده ووحده ثم ذكر النبي عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير، ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال: إنك قد قلت قولًا فصيّدْتَه بفعلك، وكان من قولك: «ومن قعدَ عنا لم نُهِجْهُ» فقعدت. فأمر له بصلة وكسوة وحملان. فخرج الرجل من عند زياد وتلقاه الناس يسألونه، فقال: ما كلكم تستطيع أن أخبره ولكنني دخلت على رجل لا يملك ضرًا ولا نفعًا لنفسه ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً، فرزق الله منه ما ترون

وكان زياد يبعث إلى الجماعة منهم فيقول: ما أحسيب الذي يمنعكم من إتiani إلا الرُّجلة^(١). فيقولون: أجل، فيحملهم ويقول: اغثُونِي^(٢) الآن واسموروا عندي. فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال: قاتل الله زياداً، جمع لهم كما تجمع الذرة، وحاطهم كما تحوط الأم البرءة، وأصلح العراق بأهل العراق، وترك أهل الشام في شأنهم.

وظلت الحال كذلك، بين شدة ولين، يمارسهما ابن أبيه تجاه الخوارج، إلى أن تولى ابنه، عبيد الله، أمر

(١) الرُّجلة: السير على الأقدام.

(٢) اغثونِي: كونوا من أصحابي.

البصرة، فحسبه الخوارج أكثر ليناً من أبيه فبدأوا بالظهور سنة ثمان وخمسين للهجرة، إذ ثارت جماعة منهم بقيادة حيّان بن ظبيان الذي قُتل في المعركة كما قُتل عروة بن أدية^(١) الذي كان قد سجنه عبيد الله بن أبي بكرة والي ابن زياد على البصرة، ثم أطلق سراحه وقال له: أنا كفليك عند ابن زياد.

لكن الأمير ما لبث أن طلب من الوالي الإتيان بعروة تحت طائلة استبداله به، فراح يبحث عنه إلى أن اهتدى إليه فحمله إلى ابن زياد فقال له هذا:

- أجهزْتَ أخاك علىَ؟.

- فقال عروة: والله ما كنتُ به ظنيناً، وكان لي عزّاً، ولقد أردتُ له ما أريد لنفسي، لعزم عزماً، فمضى عليه وما أحّب لنفسي إلا المقام وترك الخروج.

- قال له: أفأنت على رأيه؟.

- قال: كلنا نعبد ربّاً واحداً.

- قال: أما لأمثلن بك.

- قال عروة: اخْتُر لنفسك من القصاص ما شئتَ.

فأمر به فقطعوا يديه ورجليه، ثم قال له: كيف ترى؟.

(١) عروة بن أدية: أخو مردارس بن أدية، أحد رؤوس الخوارج في الكوفة؛ خرج في زمن زياد وُقتل.

قال: أفسدتْ عليَّ دُنْيَايَ وَأفسدتْ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، ثُمَّ
أَمْرَ بِهِ فُقْتَلَ ثُمَّ صُلْبٌ عَلَى بَابِ دَارِهِ.

ولم تقتصر قسوة ابن زياد على رجالات الخوارج، بل تعدتها إلى نسائهم، حيث ان إحداهم وتدعى البلجاء، اتي بها إلى ابن زياد، فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق، فمر بها أبو بلال مرداس بن أدية، وعرض على لحيته وقال لنفسه: لَهَذِهِ أَطِيبُ نَفْسًا عَنْ بَقِيَّةِ الدُّنْيَا مِنْكَ يَا مَرْدَاسُ.

ولم يلبث مرداس أن خرج، بعد هزيمة الخوارج، عام ثمانية وخمسين، في أربعين رجلاً فقصد الأهواز، فأرسل إليه ابن زياد جيشاً عليه ابن حصن التميمي غير أن الجيش هُزم هزيمة نكراء في «أسك» فقال عيسى بن فاتك الخطبي^(١):
الْفَأَمْؤْمَنُ فِيمَا زَعْمَتُمْ

وَيَهْزِمُهُمْ بِآسَكَ أَرْبَعِينَا
كَذَبْتُمْ لِيَسْ ذَلِكَ كَمَا زَعْمَتُمْ
وَلَكُنَّ الْخُوارِجَ مُؤْمِنُونَا
هُمُ الْفَئَةُ الْقَلِيلَةُ غَيْرُ شَكْ
عَلَى الْفَئَةِ الْكَثِيرَةِ يَنْصَرُونَا

(١) سماه العبرد عيسى بن فاتك، ونسبة مرة الخطبي ومرة الحبطي، وقال البلاذري: هو عيسى بن جدير أحد بنى وديعة، فهو من تيم الله بن نعبلة. كان من أصحاب نافع بن الأزرق وقتل بعد خروج الأزارقة. راجع. إحسان عباس - شعر الخوارج - (١٣٦).

ومن أخبار مرداس أنه كان مرة في سجن زياد بن أبيه، وقد لاحظ السجان شدة اجتهاده وحلاؤه منطقه، فقال له: إني أرى لك مذهبًا حسناً وإنني لأحب أن أوليك معرفة، أفرأيت إن تركت تصرف ليلاً إلى بيتك، أتدلّج إليّ؟ قال: نعم.

فصار يذهب كل ليلة إلى منزله ويعود إلى السجن عند الفجر، وحدث أن قرر زياد أن يقتل جميع سجنائه منهم «ليقمع النفاق قبل أن ينجم» وعلم مرداس بذلك وهو في منزله، فأراد أهله منعه من العودة إلى السجن، لكنه أجابهم: «إني ما كنت لألقى الله غادرًا».

وعن شدة تقاوه يرى أنه مر بأعرابي يضع قطراناً لبعيره، فسقط مرداس مغشياً عليه، فظن الأعرابي أنه قد صُرع فقرأ في أذنه. فلما أفاق قال له الأعرابي: قرأت في أذنك. فقال له مرداس: ليس بي ما خفتَه على ولكنني رأيت بعيرك هرج (انقطع نفسه) من القطران، فذكرت به قطران جهنم، فأصابني ما رأيت.

كما تذكر كتب التاريخ والسير إنه بعد خروجه مع أصحابه إلى آسك، مرببه مال يحمل إلى ابن زياد، فحفظ ذلك المال فأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه وردد الباقي على الرسل، وقال: قولوا الصاحبكم: إنما قبضنا أعطياتنا، فقال له

بعض أصحابه: فعلام ندعُ الباقي؟ . فقال: إنهم يقسمون هذا الفيء، كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم.

بعد مقتل أبي بلال، رحل الخوارج إلى مكة بقيادة نافع بن الأزرق من بني حنيفة، ويكنى: أبا راشد. وكان فقيهاً مقدماً في فقه الخوارج، إذ قال لأصحابه: «أخرجوا بنا إلى هذا الذي ثار في مكة، فإن كان على ديننا جاهدنا معه، وإن لم يكن دافعناه عن البيت». وكان عبد الله بن الزبير قد أعلن عصيانه على يزيد بن معاوية في تلك الناحية.

وفي مكة انضم الخوارج إلى ابن الزبير، الذي رحب بهم، فقاتلوا معه، وهو محاصرٌ، فلما عاد جيش الشام بعد موت يزيد^(١)، وبعد ما تأكد للخوارج، أن عبد الله ليس على مذهبهم، انفضوا من حوله، ورحلوا إلى البصرة، وفي مقدمتهم نجدة بن عامر الحنفي - ويقال أيضاً ابن عويمراً، كان رأساً من رؤوس الخوارج وذا مقالة متفردة واتباعه يسمون: النجدية أو النجذات، انشقوا على نافع حين أحل قتل الأطفال وحرم القعود والتقبية. نقم عليه أصحابه بعض الأمور وخلعوه ثم قتلواه - ونافع بن الأزرق، وعبد الله بن الصفار - مؤسس مذهب الصفريّة الذي انشق عن

(١) سنة أربع وستين للهجرة: وقد سيطر عبد الله بن الزبير على الحجاز وأعلن نفسه خليفة المسلمين.

نافع - وعبد الله بن أبياضي - مؤسس مذهب الأباضية، بعد انفصاله عن الأزارقة - وأخذوا يدعون لمحاربة السلطان.

وخرج نافع بجمع كبير من أصحابه إلى الأهواز، وطردوا منها عامل ابن زياد، الذي فرّ بعد وفاة يزيد إلى الشام؟ وأخرجوا من السجن أخوانهم الذين حبسهم عبد الله، الوالي، حينما ثار عليه أهل البصرة بعد وفاة يزيد، وتفاقم الحركة الزبيرية في الحجاز.

استولى نافع على الأهواز وجبي خراجها، فكثر اتباعه وذعر منه أهل البصرة فقاتلوه، وكانت بين الفريقين مناوشات بسيطة أول الأمر، ما لبث نافع بعدها أن جهز جيشاً كبيراً، فاتجه به إلى البصرة، فخرج إليه «مسلم بن عبيس» في جيش ضخم وهو يقول: «إنني ما خرجت لامتياز ذهب ولا فضة، وإنني لأحارب قوماً ان ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيفهم ورماحهم».

وقد جرت بين الفريقين مناوشات كثيرة قبل أن يشتد أوار المعركة في منطقة اسمها «دولاب»^(١) ولعلها المعارك التي خاضها الخوارج حيث انتصروا فيها على أهل البصرة، وقد قُتل فيها قائداً الجانبين كلامهما: نافع بن الأزرق، ومسلم بن عبيس. وحل مكان الأول في الشراءة: عبيد الله بن بشير بن

(١) منطقة في الأهواز، تقع على نهر دجلة.

الماحوز السليمي، وحل مكان الثاني في البصرىين: الربيع بن عمرو الأجدم الغدانى، فكان الرئيسان من بني يربوع، ثم إن هذين القائدين لا يلبثان أن يَسْقُطَا كلاً هما ميتان خلال المعركة، كما يُقتل من الخوارج عمران بن العرث الراسبي وهو من رؤوسهم.

ومن ناحية أخرى، ولئ عبد الله بن الزبير، في حرب الخوارج، المُهَلَّبُ بن أبي صفرة، الذي لجأ إلى وسيلة جديدة في حربهم، حيث عَمِدَ إلى اختلاق الأحاديث عليهم، وكان يقول: «إن الحرب خُذْعَة»، حيث ان بعض العرب من الأزد كانوا - إذا رأوا المهلب خارجا - قالوا: «راح يكذب» وفيه يقول أحدهم:

أنت الفتى كل الفتى
لو كنت تضدق ما تقول

كما أن المهلب أخضع أهل البصرة لشروط قاسية منها مثلاً فرضه عليهم الخراج لمدة ثلاثة سنوات إذا أرادوه أن يتبع الحرب ضد الخوارج.

ودارت بين جيش المهلب وبين الشرارة معارك قاسية في سولاف وسلبي وسلبى، انسحب الخوارج بعدها إلى الجبال بقيادة الزبير بن الماحوز، ثم هاجمهم عمر بن عبيد الله بن

معمر عند سابور واجلاهم إلى كرمان وأصفهان، ثم تعقبهم
عتاب بن ورقاء وقتل أميرهم «الزبير».

ولى الخوارج قطري بن الفجاءة المازني ، الذي تقدم
بهم إلى العراق ، فوجئه إليه مصعب بن الزبير ، المهلب بن
أبي صفرة ، الذي انتصر عليهم ، وظل يناوشهم حتى قُتل
مصعب .

تحول الأمر إلى الأمويين بعد هزيمة عبد الله بن الزبير ،
 واستلم الحكم عبد الملك بن مروان ، الذي أرسل إلى الشراة
 قواداً حالفتهم الهزائم ، إلى أن ولّى الحجاج بن يوسف أمر
 العراق عام خمسة وسبعين للهجرة ، فأعاد المهلب إلى حربهم
 وطاردهم إلى جيرفت .

ما لبث الخلاف أن دب بين الخوارج ، فانقسموا إلى
 فريقين : أحدهما مع قطري بن الفجاءة ، والأخر مع عبد ربه
 الصغير ، فضعف أمر الفريقين ، واستطاع المهلب أن ينتصر
 على عبد ربه أولاً ، فقتله وقضى على اتباعه عام سبعة وسبعين
 للهجرة ، وتعقبت جيوشُ أخرى قطرياً وصاحبها عبيدة بن هلال
 اليشكري حتى طبرستان ، حيث قضي عليهم وعلى أتباعهما
 سنة ثمان وسبعين للهجرة .

وبموت قطري تراجعت حروب الأزارقة وضعفت بعد
 أن توالت بحدة خلال أكثر من أربعة عشر عاماً .

أما نجدة بن عامر فقد اعترض على آراء نافع وكتب إليه كتاباً حول هذا الاعتراض بين فيه رأيه، وانفصل عنه منذ عام خمسة وستين، أي بعد عودتهم من مكة، وكذلك انفصل عبد الله بن الصفار، وأبن إياض في السنة نفسها وللأسباب عينها.

رحل نجدة مع أصحابه إلى اليمامة، وراجت دعوتهم بالبحرين، فأرسل مصعب بن الزبير جيشاً لمحاربتهم سنة ست وستين، فهزموهم فانتقلوا إلى صنعاء وبنوا آرائهم في اليمن، وكاد سلطانهم يعم الجزيرة كلها لولا أن حدث انشقاق في صفوف رجاله، كان من نتيجته أن قتلوه وولوا عليهم أبا فديك سنة اثنين وسبعين للهجرة، وقد سموا بالفديكية لذلك، ثم هاجموا البصرة مراراً، إلى أن هزموا سنة ثلاث وسبعين هزيمةً ساحقة قضت على دولتهم قضاء مبرماً.

أما عبد الله بن الصفار فقد بقي في الموصل، حيث أسس مذهب الصفارية، الذي أخذ يشيع القعود عن الخروج، إلى أن ظهر فيه صالح بن مسرح ثم خلفه آخرون. وقد خرج صالح عام ستة وسبعين، وأنزل بجيوش الحجاج هزائم متواتلة، وعند منها سلاحاً ومالاً، فعظم شأنه، وزحف برجاته نحو الكرخ، ثم دخلوا بغداد، وساروا نحو الأنبار، وارتفعوا نحو أذربیجان، فانهزم أمامهم جيش الحجاج وعاد إلى البصرة.

ولما قُتل صالح في إحدى المعارك، تولى أمر الصفرية من بعده: شَبِيبُ بْنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِي - وَمَعْهُ زَوْجُه غَزَّالَة^(١) - وَأَمَهُ جَهِيزَةً، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْحَجَاجَ جِيشًا قَرْبَ الْحِيرَةِ، انتصروا عَلَيْهِ عَدْدًا مَرَاتٍ، ثُمَّ هَاجَمُوا الْكُوفَةَ وَدَخَلُوهَا مَدْدَةً، إِلَى أَنْ اسْتَطَاعُ الْأَمْوَابُونَ اخْرَاجَهُمْ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَجَاجَ ذَهَبَ بِنَفْسِهِ يَقُودُ جَيْشًا أَهْلَ الشَّامِ فَهَزَمُهُمْ وَقُتِلَ غَزَّالَةُ زَوْجُ شَبِيبٍ، وَقُتِلَ أَمَهُ جَهِيزَةً، وَفَرَّ شَبِيبٌ، فَبَعْثَ إِلَيْهِ الْحَجَاجَ جِيشًا يَطَارِدُهُ لَكِنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَطُلْ، إِذْ غَرَقَ جَوَادُ شَبِيبٍ وَهُوَ عَلَيْهِ فِي دَجِيلِ الْأَهْوَازِ عَامَ سَبْعَةِ وَسَبْعِينَ فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ.

سُكِنَتُ الْخُوارِجُ بَعْدَهَا فَتَرَةً مِنَ الزَّمْنِ - فِي عَهْدِي الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَخِيهِ سَلِيمَانَ - فَلَمَّا تَوَلَّ أَخْوَهُمَا يَزِيدُ الْخَلَافَةَ، خَرَجُوا عَلَيْهِ بِقِيَادَةِ شَوَّذَةً، ثُمَّ تَوَلَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، فَحَاوَلَ أَخْذَهُمْ بِالرَّفْقِ،

(١) يَقُولُ عُمَرَانُ بْنُ حَطَّانَ بَعْدَ أَنْ لَعَنَ الْحَجَاجَ فِي طَلْبِهِ: أَسَدُ عَلَيَّ وَفِي الْحَرَوبِ نَعَامَةُ رَبِّدَاهُ تَصَفَّرَ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ.

مَلَأَ بَرْزَتْ إِلَى غَزَّالَةَ فِي السُّوغَى
بِلَ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ

ذلك أنَّ الحجاج اختباً في قصره خوفاً عندما هاجمه الغوارج، وعمران يحقره، إذ أنه اختباً من امرأة، وهو الآن يستأسد على الشاعر.

والمحاجة، وكاد ينجح، لكن شوذباً، عاد فتزعم ثورة الخوارج في العراق عام مئة للهجرة في ثمانين فارساً، هزموا والي عمر عليها، فبعث إليهم جيشاً من أهل الشام يقوده مُسلِّمةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلْكِ، فانتصر عليهم وقتل شوذباً وذلك في السنة الأولى بعد المئة من الهجرة.

وفي عهد مروان بن محمد، راحت دعوة أبي مسلم الخراساني، واستشرى خطر الصفرية بزعامة الضحاك بن قيس الشيباني، ومما زاد في قوتهم، انقسام الأمويين: إذ أن سليمان بن هشام انضم إلى الضحاك بعد وفاة أبيه ودعا أهل الموصل الضحاك إلى بلدهم، فدخله وطرد عامل مروان. وكذلك انضم إليه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي كان والياً على العراق وعزله مروان، حينما زحف الضحاك على الكوفة سنة سبع وعشرين ومئة، فسار إلى الموصل ثم إلى نصبيين، فحاصره عبد الله بن مروان، ثم لحق به مروان نفسه فهزمه وقتلته عند مارددين سنة ثمان وعشرين ومئة، وبابع أتباعه «الخيري» الذي قُتل في السنة نفسها.

أما الإباضية، أتباع عبد الله بن إباض، فقد اتبعوا القعود، حتى ظهر فيهم «عبد بن يحيى» الملقب بطالب الحق وذلك في سنة تسع وعشرين ومئة للهجرة وقد هاجم عبد الله حضرموت واستولى عليها ثم استولى على اليمن، وانضم إليه

أبو حمزة، المختار بن عوف الأزدي، الذي كان يذهب إلى مكة ليستثير الناس على مروان بن محمد.

استولى أبو حمزة على مكة بسهولة، وأحكم سيطرته على العجاز بعد أن دخل المدينة إثر معركة قُدُيد سنة مئة وثلاثين للهجرة.

وقد هاجمه جيش الشام، فخرج للقاء في وادي القرى حيث هُزم وهرب إلى مكة، فتبّعه الأمويون وقبضوا عليه، وعلى أصحابه فصلبواهم. ثم عاد الجيش نحو اليمن فهُزم «طالب الحق» الذي قُتل مع كثير من أصحابه في العام نفسه. أما في العصر العباسي فلم يكن للخوارج شأن يذكر، واقتصر أمرهم على بعض المناوشات في عُمان، التي ظلوا فيها حوالي المائة سنة، إلى أن قُضي عليهم سنة مئة واثنتين وسبعين للهجرة.

لقد أربك الخوارج السلطة الأموية، . وشغلوها فترة من الزمن في حروب ومناوشات كُتب لهم النصر في بعضها، دون أن يستطيعوا الوصول إلى تغيير هذه السلطة واستبدالها بنظام يمثل مبادئهم ومعتقداتهم التي قاتلوا من أجلها أكثر من مائة سنة. ولعل السبب في ذلك يعود إلى اعتبارات كثيرة، هذه أهمها:

أ- إنهم لم يكونوا على وفاق مع بقية أطراف المعارضة

من شيعة وزبيرين ، بل غالباً ما نجد أن خلافاتهم مع هؤلاء لا تقل حدة عن خلافاتهم مع الأمويين .

ب - كما أنهم لم يحسنوا معاملة الناس الذين كانوا يتصلون بهم ويقيمون بين ظهارنيهم ، حيث عمدوا في الغالب إلى قتال كل من ليس معهم سواء كان مؤيداً للأمويين أو ناقماً عليهم ، ولم يميزوا بين الصديق والعدو في تعاملهم مع الآخرين .

ج - وإذا أضفنا إلى هذين السبيلين مشكلة انتقام الخوارج الدائم على أنفسهم وتشعبهم باستمرار إلى فرق ومجموعات صغيرة ، لأدركنا السبب الجوهرى الكامن في عدم تمكن هؤلاء الفوارس الشجعان من تحقيق أهدافهم التي أعلناها في بداية خروجهم الطويل .

٤ - أشهر فرقهم :

ظل الخوارج حزباً واحداً متاماً حتى سنة خمس وستين للهجرة ، يوم ذهب نافع بن الأزرق برجاته إلى مكة لنصرة عبد الله بن الزبير .

ولما عادوا ، بعد خيبة أمل ، لعدم توافق آرائهم مع رأي الزبيري ، انقسموا إلى أربع فرق هي :

أ - الأزارقة^(١):

وهم أتباع نافع بن الأزرق، كان أكثرهم من تميم، وقد انضم إليهم كثير من الموالى، واشتهروا ببسالتهم الفائقة حتى أصبحوا مثال العرب في الدفاع عن مذهبهم، وكانوا يعوضون خسائرهم بالأرواح عن طريقين: الانجاح الدائم، واقبال الفئات الضعيفة نحوهم من أفراد المجتمع المؤمنين بمذهبهم.

انقسم الأزارقة على أنفسهم في أواخر أيامهم عندما التحق فريق منهم بقطري بن الفجاءة، وتبع فريق آخر «عبد ربه» الصغير، وهذا ما سهل للمهلب امكانية القضاء عليهم. كان نفوذهم بالقرب من البصرة، وبفارس وكرمان، وكانوا يعتبرون أشد الفرق الخارجية بأساً، وأكثراً عدداً، وأعظمهم قوة.

من أهم مبادئهم:

- ١ - كفروا علياً وال المسلمين جميعاً ما عدا الأزارقة.
- ٢ - غلوا في الحكم على مخالفتهم، فقضوا بتكفيرهم، فاستحلوا قتالهم، واستحلوا قتل أطفالهم وشيوخهم، وفي ذلك يقول «سُبْرَةُ الْجَعْدَى»:

(١) عن الأزارقة، أحمد العوفي - أدب السياسة (ص ٩٥)، وغولديشبر - العقيدة والشريعة (ص ١٧٢).

فمن مبلغ الحجاج أن سميّة
قلّى كلّ دينٍ غير دين الخوارج
رأى الناس - إلا من رأى مثل رأيه -
ملاعين ترّاكين قصّد المخارج
فكـل المسلمين - عدا من رأى رأيـهم - كـفار لا يمكن
الإتفاق معـهم .

٣ - رفضوا القعود، أو التقية، وكفروا المؤمن بهما،
وفي ذلك يقول قطرـي بن الفجاءة - موجهاً كلامـه إلى خارجيـ
آخر من القـعدة :

أبا خالـدِ يا انـفرْ فـلـست بـخـالـدِ
وـما جـعـلـ الـرـحـمـنُ عـذـراً لـقـاعـدـ
حيث يـحـثـ الشـاعـرـ أـخـاهـ القـاعـدـ عـلـىـ الـخـروـجـ
وـالـاسـتـفـارـ لـأـنـ لـاـ عـذـرـ لـقـاعـدـ عـنـهـمـاـ .

٤ - تقول الأزارة بإسقاط الرجم عن الزاني ، إذ ليس
في القرآن ذكره ، وإسقاط القذف عمن قذف المحسنين من
الرجال ، مع وجوب الحد على قاذف المحسنات من النساء .

ب - النـجـدـاتـ (١) :

أتباع نجدة بن عامر ، كانوا في أول أمرـهمـ بالـيـمامـةـ

(١) عن النـجـدـاتـ ، أـحـمـدـ الـحـوـفـيـ ، مـ . سـ . صـ (٩٨) .

والبحرين وحضرموت، انفصلوا عن الأزارقة سنة ست وستين للهجرة.

من أهم مبادئهم: يقول نجدة في سبب خلافه مع الأزارقة:

١ - ليس المتخلفون عن الجهاد كفاراً، لأن الله عذرهم وسمّاهم أحسن الأسماء في قوله: ﴿لِيُسْ عَلَى الْمُضْعَفِينَ وَلَا
عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنفَقُونَ حَرَجٌ إِذَا
نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

٢ - ولهذا يحل: الزواج منهم وإليهم، وميراثهم،
وذبائحهم، وتقبل شهادتهم.

٣ - لا يحل قتل الأطفال لأن الله يقول: ﴿لَا تَزِرُ وَازْرَةٌ
وَزْرًا أَخْرَى﴾.

٤ - التقبية جائزة لقوله تعالى: ﴿لَا يَتَخَذُ الْمُؤْمِنُونَ
الْكَافِرِينَ، أُولَئِكَ مَنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولما وصل «نجدة» إلى اليمن، اختاره رجال «أبي طالوت» زعيماً لهم، ثم اختلف معه أتباعه بزعامة «أبي فديك»، فقتلوه، وأمرروا هذا الأخير، فصاروا يسمون فديكية، قضى عليهم جيش عبد الملك بن مروان سنة ثلث وسبعين للهجرة. على أن «عطاءة بن الأسود الحنفي» بريء من «أبي فديك»، وانتقل إلى أرض سجستان وسمى أصحابه:

العطوية؟ ومنهم «عبد الكرييم بن عجرد» الذي انفصل عن «أبي فديك» وسمى أصحابه: العجارة، ومنهم خرج «ميمون» مؤسس: الميمونية.

هذه الفرق الخمس ذات الأصل الواحد، لا تختلف عن بعضها في الجوهر وإنما في التفاصيل الشكلية، وقد ظل يجمع بينها رأيُّ مفاده: لا حاجة للناس إلى إمامٍ قطًّا، بل عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، وإذا وجدوا أن إصلاح أمورهم لا يتم إلا بإمامٍ جاز لهم ذلك.

ج - الإباضية^(۱):

أتباع عبد الله بن أبياض التميمي، الذي عاش في زمن معاوية، وكان من أتباع نافع بن الأزرق، ثم خالفه وانفصل عنه. كان نفوذهم في اليمن وحضرموت، وتزعمهم عبد الله بن يحيى الكندي، الذي بايعه أبو حمزة عام مئة وثمانية وعشرين للهجرة.

والإباضية يتفقون في كثير من معتقداتهم مع المعتزلة كقولهم بخلق القرآن، وتأويلهم بعض كلماته تأويلاً مجازياً، ويخالفون المعتزلة بقولها: إن مرتکب الكبيرة هو في منزلة بين المترلتين، بينما يعتبره الخوارج كافراً.

(۱) عن الإباضية، عبد القادر شيبة الحمد. الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (ص ۹۰).

ما زالت بقايا من الإباضية في الجزائر، وطرابلس
الغرب وعمان، وزنجبار إلى اليوم.

أهم مبادئهم :

- ١ - كانت الإباضية حركة وسطية في نظرتها إلى المسلمين غير الخارج، إذ اعتبرتهم كفاراً غير مشركين، ولهذا لا يحل قتالهم إلا بعد الدعوة وإقامة الحجّة وإعلان الحرب. وهي تلتقي مع «النجدات» من حيث قولها: إذا قاتلنا المسلمين وغنمّنا منهم، ردّنا كلّ شيء إلا المال والسلام.
- ٢ - أباحوا الزواج من مخالفاتهم والوراثة كذلك.

- ٣ - جاء في خطبة «عبد الله بن يحيى» بعد أن استولى على اليمن: «من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شرب الخمر فهو كافر، ومن شكّ إنه كافر فهو كافر».

د - الصُّفْرِيَّة^(١) :

اتباع زياد بن الأصفهاني، وقيل عبد الله بن الأصفهاني، ولذلك يسمون الزيادية، أو الصُّفْرِيَّة.

حول تكونهم يقال إن «نافعاً» لما بعث كتاباً إلى ابن أبيض يشرح له فيه مذهبـه، قال الإباضي: «قاتلـه الله أي رأـيـ رأـيـ؟ لو كانـ القومـ مـشـرـكـينـ كانـ أـصـوـبـ النـاسـ رـأـيـاـ وـحـكـماـ

(١) عن الصُّفْرِيَّةـ، راجـعـ: المـبرـدـ، الـكـاملـ فـيـ اللـغـةـ وـالـأـدـبـ جـ ٢ـ (صـ ٢٠٢ـ) وـأـحـمـدـ الـحـوـفـيـ - أـدـبـ السـيـاسـةـ، (صـ ١٠٢ـ - ١٠٣ـ).

فيما يشير به، وكانت سيرته كسيرة النبي في المشركين، ولكنه قد كذب فيما يقول، إنَّ القومَ كفارٌ بالنعيم والأحكام وهم براء من الشرك ولا يحل لنا إلا دمائهم فقال ابن الصفار: بربِّ اللهِ مِنْكَ فَقَدْ قُصِّرْتَ، وَبِرَبِّ اللهِ مِنْهُ فَقَدْ غَلَ، بربِّ اللهِ مِنْكُمَا جَمِيعاً، فَقَالَ لَهُ أَبْنَىْ أَبْاضَ: فَبِرَبِّ اللهِ مِنْكَ وَمِنْهُ، وَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ.

من أهم مبادئهم:

١ - يؤمنون بالقعود كالنجدات، ويجيزون التقية قولًا وفعلاً.

٢ - لم يبيحوا قتل أطفال المشركين منهم وهم بذلك يتلقون مع النجدات والإباضية.

٣ - الكبائر برأيهم نوعان: نوع يُحَدَّ مثل الزنا، السرقة، القذف، ونوع لا يُحَدَّ لعظم قدره مثل ترك الصلاة والفرار من الزحف، ومرتكب هذا النوع من الكبائر كافر مخلد في النار.

هذه أشهر الفرق الخارجية: غير أن بعض المؤرخين يذكر ما يزيد على العشرين فرقة دون إيضاح للتمييز بينها، كما هو الحال عند عبد القاهر البغدادي في «الفرق بين الفرق» حيث يعددها كما يلي: «المحكمة الأولى، الأزارقة، النجدات، الصفرية، ثم العجارة المفترقة فرقاً منها:

الخازمية والشعبية والمعلومية والمجهلية، والمعبدية، والرشيدية، والمكرمية، والحمزية، والشمخرانية، والإبراهيمية، والواقفة والإباضية، التي افترقت فرقاً معظمها فريقان: الحفصية والحارثية، فأما اليزيدية من الإباضية والميمونية من العجاردة، فإنهما فرقتان من غلة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة».

ثالثاً: أدب الخوارج.

١ - الأدب قبل الخوارج

١ - عرف العرب في جاهليتهم - بالإضافة إلى الشعر والخطابة - فنوناً أدبية متعددة، كالأمثال والحكم، والروايات، يضاف إلى ذلك ما شاع من أن بعض البدو كانوا يدعون التنبؤ ومعرفة المغيبات وهم الكهان الذين عُرِفَ انتاجهم الأدبي بأنه سجع خالص.

ولما جاء الإسلام، بقيت هذه الفنون بمعظمها مستمرة في الحياة، ما عدا الأمثال التي استبدلت بتلاوة القرآن والحديث، بينما خفت صوت الغزل، واستبعد السجع من الخطب والأحاديث.

غير أن تبدلاً طرأ على مضمون الأدب بتأثير الدين الجديد، الذي دعا إلى القضاء على كل مظاهر الوثنية في الأدب والحياة.

هذه الفنون الأدبية المختلفة، وخاصة الشعر والخطابة، كانت الإطار العام الذي شمل مختلف أغراض

الكلام في العصرین: الجاهلي والإسلامي الأول، من هجاء
ومدح، وفخر ورثاء، ووصف وغزل الخ

وتميزت أكثر آثارهما بالواقعية في التعبير من حيث
التصاقها بالبيئة وما يدور فيها من أحداث من جهة، كما تتميز
بالتفكك بسبب تعدد الأغراض وتنوعها في الآخر الواحد من
جهة ثانية.

إلا أن أسلوبها اتسم في كلا الحالين بالجزالة ودقة
الوصف والسطوعية والتدقق.

٢ - آثار الخوارج الأدبية:

لقد ترك الخوارج عدداً وافراً من الآثار الأدبية الموزعة
في كتب التاريخ والأدب القديمة والحديثة، حيث نجد قسماً
كبيراً منها في كتاب «الكامل» «للمبرد»، وفي كتاب «الأغاني»
«لأبي فرج الأصفهاني»، وفي كتاب «تاريخ الأمم والملوک»
«للطبری»، وفي «أدب السياسة» للدكتور «أحمد الحوفي»
وفي «أدب الخوارج» «لسهیر قلماوی»، وسوها من الكتب
القيمة التي أنتجها العرب منذ العصر العباسي حتى اليوم.

وقد تراوحت المساحات التي يحتلها أدب الخوارج في
صفحات هذه المؤلفات بين القلة والكثرة، ولكن الواضح أن
شعراءهم - عدا الطيرمّاح بن حكيم - لم يتركوا لنا دواوين

شعرية مثبتة يمكن الرجوع إليها، رغم أن ما تركه «عمران بن حطّان السَّدُوسي» «وقطريُّ بن الفجاءة المازني» من أشعار يكفي لتأليف ديوان لكل منها، لو جُمعت.

ولعل السبب في ذلك، هو ضياع أكثر شعرهم، في زمن اعتمد فيه الحفظ والتناقل وسيلةً وحيدةً لحفظ الأدب من الضياع.

وإذا عرفنا أن الخوارج كانوا فئة غير محبيَّة إلى النُّفوس، ينظر إليهم المجتمع كجماعة مارقة من الدين، وإن أكثر الرواية والمحدثين في ذلك العصر وما يليه كانوا إما من الشيعة أو من الأمويين، أدركنا الأسباب التي من أجلها أهملت أكثر آثار هذه الفرقة السياسية - الدينية، فلم يصلنا منها إلا النذر الضئيل على شكل مقطوعات وقصائد.

هذه المقطوعات القصيرة، والقصائد المطولة، جمع منها الدكتور «إحسان عباس» قسماً كبيراً في كتابه «شعر الخوارج» وهذا القسم المتبقى كافٍ بحد ذاته لإلقاء نظرة - شبه كافية - حول ما ألموا به من موضوعات وما تميزت به كتاباتهم من خصائص ومميزات.

٣ - موضوعات الأدب الخارجي:

أ- في الشعر :

١- الشجاعة :

لقد شهد لهم كثيرون بذلك، فصاحب «العقل الفريد» يقول عنهم: «وليس في الأفراد كلها أشد بصائر من الخارج، ولا أشد اجتهاداً، ولا أوطن نفساً على الموت، منهم الذي طعن فانفذه الرمح فجعل يسعى إلى قاتله ويقول: وعجلتُ إليك رب لترضى»^(١).

وهكذا نجد في تاريخهم الحافل بالمعارك والتضحيات، صوراً حية لتلك الروح الشجاعة التي حملتها هؤلاء بين جنوبهم كذلك الأبيات التي نظمها «عيسي بن فاتك» في وصفه لمعركة «آسك» بين أصحابه وجيش ابن زياد حيث يقول:

الْفَأْلَفُ مُؤْمِنٌ فِيمَا زَعَمْتَ
وَيَهْزِمُهُمْ بِآسْكٍ أَرْبَعُونَ

لنلاحظ الفرق في الأرقام: جيشُ الامريين يبلغ تعداده الألفين، بينما يتصدى له من الجانب الآخر أربعون رجلاً في معركة لم يكن فيها أسلحة ثقيلة واقتصرت على المواجهة الفردية بالأدوات المتوفرة آنذاك للقتال.

(١) سهير قلماوي - أدب الخارج (ص ٢٢).

ونسمع أيضاً إلى «قطري بن الفجاءة» يصف شجاعته
بقوله محدثاً نفسه:
أقول لها وقد طارت شعاعاً^(١)

من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سالت بقاء يوم
على الأجل الذي لك لم تطاعي
 فهو يستحث نفسه على تحمل المصاعب وعدم الخوف
والصبر على القتال لأنه أدرك فناء الحياة وعدم جدواها.

وكذلك نجد في شعر «الطرماح بن حكيم» وصفاً لذلك
الاقدام يحركه استهانةً بالدنيا المليئة بالشر، ورغبة في
الآخرة الحافلة بالخير، وتمَّ صادق للموت قعضاً - أي ضرباً
بالسيف - ورمياً في العراء، يقول:
ـ إذا العرش إنْ حانت وفاتي فلا تكن
على شرجع يُعلَى بخضر المطارف^(٢)
ولكنْ أحِنْ يومي سعيداً بعصبةٍ
يصابون في فجٍّ من الأرض خائف^(٣)

(١) الشُّعاع: التُّفُّرُقُ من كُلِّ شَيْءٍ؛ والآيات من: احسان عباس - م. س.
(ص: ٤٢ - ٤٣).

(٢) شرجع: نفس - ومطارف: ج مطرف: رداء من خز. والآيات من احسان
عباس م. س (ص: ٩٨).

(٣) عصبة: جماعة - وفج: مكان موحش.

نَأْتُلُ قَعْصاً ثُمَّ يُرْمِي بِأَعْظَمِي
كَضَبَتِ الْخَلَا بَيْنِ الرِّبَاحِ الْعَاصِفِ^(١)

وَصَبَحَ لِحْمِي بَيْنَ طَبِيرِ مَقِيلَهُ
دُونَ السَّمَاءِ فِي نَسُورِ عَوَّاكِفِ

هَكَذَا فِيهِمُ الْخَوَارِجُ طَرِيقُهُمُ إِلَى الْخَلَاصِ مِنْ آفَاتِ
الْمُجَتَّمِعِ، وَمِنْ هُنَا كَانَ اندِفَاعُهُمُ الشَّدِيدُ وَتَشْوِقُهُمُ الدَّائِمُ
لِحَمْلِ السَّلَاحِ بِغَيْرِهِ أَسْتِرْجَاعُ الْحَقِّ الْمَهْدُورِ وَتَقوِيمُ
الْإِعْوَاجِ النَّاثِيءِ أَوِ الْاسْتِشَاهَادِ دُونَهُ.

٢ - التحرير يرض على الثورة:

لَكِي يَحْقُقُ الْخَوَارِجُ أَهْدَافَهُمُ فِي الإِصْلَاحِ الإِجْتِمَاعِيِّ
وَالدِّينِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ، كَانَ لَا بَدَّ لَهُمْ مِنْ دَفْعِ بَقِيَّةِ أَبْنَاءِ الرَّعْيَةِ
لِلْوَقْوفِ مَعَهُمْ وَحْمَلِ السِيفِ، مِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ «مَعَاذُ بْنُ
جَوَيْنُ»، عِنْدَمَا حُبِسَ «الْمَغْيِرَةُ بْنُ شَعْبَةَ» جَمَاعَةً (مِنْهُمْ سَنَةُ
ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ لِلْهِجَرَةِ)، قَالَ مَعَاذُ:

أَلَا أَيُّهَا الشَّارُونَ قَدْ حَانَ لِأَمْرِيِّ
شَرِيْ نَفْسِهِ اللَّهُ أَنْ يَتَرَحَّلَا،
أَقْمَمُتُمْ بِدَارِ الْخَاطِئِينَ جِهَالَةً
وَكُلُّ أَمْرِيِّ مِنْكُمْ يُصَادُ لِيُقْتَلَا

(١) ضفت: ضئيل لا خير فيه.

إنه يشجع من اقتنع برأيه، على الخروج دفاعاً عن هذا الرأي، فديار المسلمين غير الخوارج هي ديار جهالة، دار كفر، لا يجوز للشاري أن يدنس نفسه بقربها، وعليه للمحافظة على صفاته وطهارته أن يترك هذه الديار ويلتحق بصفوف المقاتلين.

وإذا حاول أحدهم التقاوِعُ عن الخروج، وفضل القعود، جاءه من يحْضُّه عليه، ويذكّره ببَيْس الرحمن وانتقامه ممن تقاعس عن نصرة دينه، فلنستمع إلى «قطري» يخاطب «أبا خالد القناني» الذي خشي على عياله إنْ خَرَجَ، فأثر القعود، قال قطري:

أبا خالد يا أنيف فلست بخالد
وما جعل الرحمن عذراً لقاعدٍ
أتزعم أنَّ الْخَارجيَّ على الْهَدِي
وأنت مقيم بين لصٍ وجاهدٍ؟

وكانت ردود الناس عليهم تراوح بين القبول للخروج والرفض له، كل حسب درجة اقتناعه بما يقال له، وحسب أوضاعه الإجتماعية الخاصة، إذ أننا نجد البعض «كعمران بن حطان» مثلاً يندفع متائراً بما لاقاه «نافع» وأصحابه من مصاعب وما تحملوه من شقاء، فيرغب في الخروج على سنتهم، متميناً ملاقاة نفس مصيرهم: الاستشهاد في سبيل الله يقول عمران:

لقد زاد الحياة إلى بغضه
وحبًا للخروج أبو بلال
ولو أني علمت بأن حتفي
كحتف أبي بلال لم أبال

٣ - رثاء القتلى:

غالبًا ما كانت تنتهي المعارك، بين الخوارج
وخصومهم، بموت الشراة لقلة عددهم، وكان الرد من قبل
أتباعهم يتخذ شكلين: الانتقام المباشر من جهة، ورثاء
القتلى وطلب اللحاق بهم من جهة أخرى، يقول عمران في
رثاء «مردادس بن أدية»:

يا عين بكى لمردادس ومصرعه
يارب مردادس اجعلني كمردادس
أنكرت بعده من قد كنت أعرفه
ما الناس بعده يا مردادس بالناس
فعمران يحرق أسى على فراق أبي بلال الذي يعتبر
في نظر الشاعر مثalaً للإنسان الكامل، حتى ان «مردادساً»
يتكرر اسمه ثلاث مرات في البيت الأول وهذا يدل على
أهميةه بالنسبة لابن حطّان، الذي أنكر بعده، لهول المأساة،
كل من كان يعرفه من الناس، إذ أنهم ليسوا كمردادس في
نظره، وجل ما يتمناه الشاعر هو اللحاق به باكراً على نفس
الطريق.

ويقول «عيسى بن فاتك» في رثائه لمرداس أيضاً وأصحابه:

ألا في الله لا في الناس شالت
بـداود^(١) وأخوته . الجذوع
مضوا قتلاً وتمزيقاً وصلباً
تحروم عليهم طير وقوع
إذا ما الليل أظلم كابدوه
فيسير عنهم وهم ركوع

فهو هنا يصور لنا تقوى أصحابه القتلى ، وصمودهم الخارق أمام ضربات العدو، فيقتلون ويمزقون حتى تأتي الطيور فتهش لحومهم الطرية التي زاد في رقتها وقوفهم الدائم بين يدي الله ركوعاً وسجوداً.

ثم إن هؤلاء الأصحاب يستحيلون في نظر الخوارج الباقين ، منارات وأعلاماً ، تثير لهم الطريق الذي نذروا أنفسهم من أجله ، كما يظهر ذلك في قول «حسان بن جعدة» في رثاء شوذب الخارجي (بسطام اليشكري) وصاحبه ، الذين قتلهم مسلمة بن عبد الملك عام واحد ومتة بعد الهجرة ، قال حسان :

(١) داود: هو أحد أصحاب مرداس في المعركة.

يَا عَيْنُ أَذْرِي دَمْوَعًا مِنْكَ تَسْجَامًا^(١)
 وَابْكِي صَحَابَةَ بَسْطَامٍ وَبَسْطَاماً
 أَسْقِي إِلَهَ بَلَادًا كَانَ مَصْرَعُهُمْ
 فِيهَا سَحَابَةً مِنَ الْوَسْمَى سَجَامًا^(٢)

٤ - تكفير مخالفتهم:

إِنْ مَوْقِفُ الْخَوَارِجِ مِنَ التَّحْكِيمِ وَالْحُكْمِينَ وَاضْعَفَ،
 فَقَدْ رَفَضُوا أَنْ يَحْكُمَ أَحَدٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَوْ
 وَافَقَ عَلَيْهِ فَهُوَ كَافِرٌ يَسْتَحْقُ السَّيْفَ أَوِ التَّوْبَةَ.

يَقُولُ «فَرُوْةُ بْنُ نُوفَلٍ»:
 نَقَاتَلُ مَنْ يَقَاتَلُنَا وَنَرْضُى
 بِحُكْمِ اللَّهِ لَا حُكْمَ الرِّجَالِ
 وَفَارَقْنَا أَبَا حَسِينَ عَلَيْهَا
 فَمَا مِنْ رَجُلٍ أَخْرَى الْلِيَالِي
 فَحُكِّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَمْرًا
 وَذَاكَ الْأَشْعُرِيُّ أَخَا الْضَّلَالِ
 وَالْحُكْمُ بِالْكُفْرِ عَلَى إِنْسَانٍ مَا، فِي عَصْرٍ مَا زَالَ قَرِيبًا
 مِنْ عَهْدِ الرَّسُولِ، يُوجَبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتَالَهُ عَلَى كُفْرِهِ
 وَاعْدَاتِهِ إِلَى دِينِ اللَّهِ أَوِ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ. لِذَلِكَ طَلَبُوا مِنْ عَلَيْهِ

(١) سَجَامٌ: غَزِيرَةٌ وَمَنْصَلَةٌ.

(٢) الْوَسْمَى: أَوَّلُ مَطَرِ الرَّبِيعِ - السَّجَامٌ: الغَنِيُّ بِالْخَيْرِ.

التربة ولما رفض تركوه وأعلنوا الحرب عليه وعلى كل المسلمين الذين لا يرون رأيهم، واعتبروهم جميعاً كفاراً ملحدين، ويصبح الاستشهاد من قبل الخوارج على أيدي هؤلاء القوم وسيلة لا تخطئ في الوصول إلى الجنة، كما يتضمن ذلك قول «أم عمران بن العارث الراسبي» في براءة ابنها لما قُتل:

الله أَيْدِيْ عَمْرَانَ وَظَهَرَهُ
وَكَانَ عُمَرَانُ يَدْعُ اللَّهَ فِي السَّخْرِ
يَدْعُوهُ سَرَاً وَإِعْلَانًا لِيَرْزُقَهُ
شَهَادَةً بِيَدِيْ مَلْحَادَةً غَدُرِ^(١)

كما يبرز ذلك في قول «قطري بن الفجاءة» يصف يوم «دولاب» بين الأزارقة بقيادة نافع وبين أتباع الأمويين في البصرة، يقول قطري:

فَلَوْ شَهِدْنَا يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
تَبِعُّ مِنَ الْكُفَّارِ كُلَّ حَرِيمٍ
رَأَتْ فَتِيَّةٌ بَاعُوا إِلَهَ نَفْوسِهِمْ

بجنتِ عَدِّنِ عَنْهُ وَنَعِيمٍ
فَشجاعة الخوارج الخارقة، ناتجة عن ذلك الإيمان المطلق بالعدل بعد الموت. ويشتد هذا الإيمان وتقوى تلك

(١) ملحادة: كثيرة الإلحاد، كقولنا رجل علامة: كثير العلم.

الشجاعة كلما أمعن العدو بالكفر، وغرق في العصيان، لذلك نراهم يخوضون أكثر معاركهم ضد الأميين الذين رأوا فيهم النموذج الأكثر بعدها عن الدين، والأشد ایغالاً في المعصية.

٥ - التأسف لوقوع الخلاف بين فرقهم.

لم يحصر الخوارج موضوعاتِ أدبهم بما يتعلّق بموقفهم من بقية الأحزاب وبما يسبّه وما يتّبع عنه، وإنما تعدوا ذلك إلى وصف الخلافات التي قامت بينهم في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، من ذلك ما قاله «زيد بن جندب» في الخلاف الذي حصل بين الأزارقة عندما انقسموا إلى فريقين: واحد مع قطرى، وأخر مع عبد ربه الصغير:

قُلْ لِلْمُحَلَّيْنَ قَدْ سُرَّتْ عَيْنُكُمْ
بِفُرْقَةِ الْقَوْمِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْهَرَبِ
كَانَ أَنَاسًا عَلَى دِينٍ فَغَيَّرُنَا
طُولُ الْجَدَالِ وَخُلُطَ الْجَدَّ بِاللَّعِبِ
مَا كَانَ اغْنَى رِجَالًا ضَلَّ سَعِيهِمْ
عَنِ الْجَدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطَبِ
إِنِّي لَا هُوَنُكُمْ فِي الْأَرْضِ مُضطَرِّبًا
مَا لَيْ سُوِيْ فَرْسِيْ وَالرُّمْحِ مِنْ نَشِبْ
فَهُوَ يَوْجِهُ كَلَامَهُ أَوْلًا إِلَى خَصُومِهِ مِنَ الْأَمَوِينِ وَسَوَاهِمْ
مِنْ أَحْلَوِ الْحَرَمِ قَائِلًا لَهُمْ: لَقَدْ هَدَأْ خَاطِرَكُمْ بِهَذَا الْانْقِسَامِ

الذى أدى إلى قتل عبد ربه الصغير وهرب قطرى بن الفجاءة من المهلب بن أبي صفرة.

ثم يتبع كلامه موجهاً الحديث إلى قومه ومن لجأوا إلى الجدال والنقاش فادى بهم ذلك إلى الفراق والانقسام وما كان أغناهم عن هذا الخلط بين الجد واللعب، فالجد هو الصراع والجهاد، واللعب هو التحاور والمناقشة في أمور تصرف عن الهدف الأسمى.

٦ - نقد الحياة عامة :

لقد تجلى ذلك في رفض الخوارج الحرص والجشع وحشد الأموال، كما يظهر ذلك من قول الطرماتح بن حكيم :

عجب ما عجبت للجامع المال يباهي به ويرتفع
ويُضيّع الذي يصيره الله إليه فليس يعتقد
يوم لا ينفع المخول ذا الثروة خلانه ولا ولده
يوم يؤتى به وخصمه وسط الجن والإنسِ رجله وبنده

إلا أن هذا النقد لذوي الثراء موجه إلى خارج محيط الدائرة الخارجية، حيث أن هذه الجماعة لم تشك التفاوت بين الغنى والفقر كما يقول «الدكتور إحسان عباس» خاصة إذا أمعنا النظر في محتوى قول «مسلم بن عبيس» قائد الجيش الأموي في وقعة دولاب عندما قال قبل خروجه للناس: «إنني

ما خرجتْ لامتياز ذهب ولا فضة، وانني لأحارب قوماً إن
ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيفهم ورماحهم».

ويتضح ذلك من قول عمران بن حطّان الذي رفض
حياة اللهو والمجون السائدة في بعض أنحاء المجتمع
بتوجيه من الخلفاء لصرفهم عن السياسة كما هو حاصل في
الحجاج آنذاك، ويتمثل عمران لو أن هؤلاء انصرفوا إلى
العمل الصالح، يقول:

حتى متى تُسقى النفوسُ بكاسها
رَبِّ الْمَنْوَنِ وَأَنْتَ لَا تُرْتَعِّ^(١)

فَتَرَوْدُنَّ لِيَوْمٍ فَقَرِيكَ دَائِبَا
وَاجْمَعَ لِنْفِيكَ لَا لِغَيْرِيكَ تَجْمَعُ
فهو يتوجه إلى تلك الجماعة من المسلمين الذين آثروا
الحياة السهلة على تحمل المشقات، فانصرفوا إلى تصييد
الملذات، غير مكتئبين بما يصيب الناس من ظلم واضطهاد
وهوان، وهو يقارن بين جامع المال وجامع العمل الصالح
الخير، فيجد أن الأول لن يفيد طالما سيورث الجامع للثروة
ماله إلى الآخرين، بينما يؤكد أن الثاني هو الرابع وهو وحده
الذي سيبلغ السعادة الأبدية.

وفي هذا المجال نذكر أن الخوارج تصدوا لزملائهم

(١) رب - المنون: شراب الموت.

الشعراء من احترفوا الرياء في القول تقرباً من السلطان واستدراراً لدرامه، دون ادراك لما يجره ذلك من اذلال ومهانة، يقول عمران، وقد سمع الفرزدق يمدح أحد الولاة:

أيها المادح العباد ليُعطي
إنَّ الله ما بِأيْدِيِّ العباد^(١)

فاسأَلَ اللَّهَ مَا طَلَبَتْ إِلَيْهِمْ
وَارْجُ فَضْلَ الْمَقْسَمِ الْعَوَادِ
لَا تَقْلِ فِي الْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ
وَنَسْمُ الْبَخِيلِ بِاسْمِ الْجَوَادِ

فالشاعر هنا ينتقد مبدأ التكسب في الشعر ليعلن أن الله وحده يستحق السؤال لأنَّه عدل خالص، له ما في السموات وما في الأرض، وهو المرتجى.

ولقد لجأ الأمويون إلى بذل الأموال الكثيرة على الجند، تشجيعاً لهم على محاربة الخوارج، كما فعل المهلب عندما طلب إلى أهل البصرة أن يكتبوا على أنفسهم كتاباً يدفعون بموجبه خراج ثلاثة سنوات متالية له، ليوزع منه فقط على الذين يخرجون إلى قتال الشراة، وقد سمع عمران مرة بعض الجنود يقولون: «ما لنا لا نقاتل الخوارج، أو ليست

(١) احسان عباس، شعر الخوارج (ص ٦).

اعطيلاتنا دارة؟، فقال عمران ينقد هذه الظاهرة مصوراً مدى الانحطاط الديني والخلقي عند هذه الجماعة لحظة تُفضلُ
المال على الإيمان:

فَلَوْ بَعَثْتَ بَعْضَ الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ
يُؤْمِنُونَ أَوْ بَعْضٌ مِّنْ قَدْ تَنَصَّرَا^(١)
لَقَالُوا رَضِينَا إِنْ أَقْمَتْ عَطَاءَنَا
وَأَجْرَيْتَ ذَلِكَ الْفَرْضَ مِنْ بُرْكَسْكَرَا^(٢)

ب - في الترث:

لم يقتصر الخوارج في أدبهم على الشعر، بل استعنوا بفنون أدبيه أخرى شملت الخطابة والرسالة والمناظرة، فضمنوها آراءهم وأفكارهم، فما هي موضوعات أدبهم الترثي؟.

١ - الخطابة:

لعبت الخطابة دوراً بارزاً في الأحداث التي صاحبت العرب في تطورهم عبر العصور التاريخية المختلفة، وكانت تشكل مع الشعر سلاحاً فعالاً لتحقيق غايات القبائل أولاً ثم الأحزاب السياسية فيما بعد.

وإذا كانت القصيدة هي وسيلة الدعاية المتوفرة لكل

(١) يؤمنون: يكون عليهم إماماً. والشعر من احسان عباس م. س (ص ٣٥).

(٢) بُرْكَسْكَرَا: قمح - كُسْكَرَا: اسم منطقة مشهورة بالخصب.

حزب، فإن الخطابة هي وسيلة الاتصال السياسي مع الناس لاستمالتهم إلى مبادئ هذا الحزب وأهدافه.

وكما عبر الخوارج عن آرائهم شعراً، كذلك عبروا عنها خطابة، وأحاديث، ثم إن تحرر الخطابة من الوزن والقافية جعلها أكثر مرونة وأيسر تناولاً في التعبير من الشعر وشروطه، وأهم الموضوعات التي تناولتها خطبهم:

أ- رأيهم بالخلفاء:

اعتبر الخوارج أن عدل الرسول ووصاياته بالخير لم يُعمل بها إلا زمن أبي بكر وعمر بن الخطاب، أما عثمان فقد سار على سيرة صاحبيه مدة ست سنوات ثم تحول بعدها عن السنة الصحيحة التي رسمها النبي وخلفاؤه من بعده.

وينتضح رأيهم في خطبة «عبيدة بن هلال اليشكري» في مكة عندما ذهب الخوارج لنصرة ابن الزبير فيها، يقول عبيدة، بعد أن ذكر عهدي أبي بكر وعمر بالخير:

«أما عثمان، فقد أخذ في الله الذي افأءه عليهم، فقسمه بين فساق قريش ومجان العرب»^(١).

ويقول «صالح بن مسرح» كذلك في نفس الموضوع:
«..... ولني من بعده عثمان، فاستأثر

(١) أحمد الحوفي - أدب السياسة - (ص ٣١٩).

بالفيء، وعطل الحدود، وهاز في الحكم، واستدل المؤمن، وعزَّ المجرم، فسار إليه المسلمون فقتلوه، فبرىء الله منه ورسوله وصالح المؤمنين، وولي أمر الناس بعده عليٌّ بنُ أبي طالب، فلم ينشب أن حكم في أمر الله الرجال، وشك في أهل الصلاح، ورَكِنَ وأدهنَ، فتحن من علىي وأشياعه براءة^(١).

ب : تصوير شجاعتهم :

لم تخل خطب الخوارج، كما لم يخل شعرهم من وصف لشجاعة المقاتلين وتقدير تصحياتهم في سبيل إقامة العدل، ولنستمع إلى أبي حمزة الخارجي (المختار بن عوف الأزدي) في أهل المدينة سنة مئة وثلاثين للهجرة، يقول عن أصحابه: «..... حتى إذا رأوا السهام قد فوقت، والرماح قد أشرعت، والسيوف وقد انتصبت، وبرقت الكتبية ورعدت بصواعق الموت، واستخفوا بوعيد الكتبية لوعيد الله، ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتبية، ولقوا شباً الأسنة وشائيك السهام وظباب السيف بنحورهم ووجوههم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قدمًا، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، واحتضبت محسن وجهه بالدماء، وعُفِرَ جبينه بالثرى، وانحاطت عليه طير السماء، وتمزقته سباع

(١) أحمد العوفي م . س (٣٢٧).

الأرض، فطوبى لهم وحسن مآب»^(١).

إن هذه المعانى التي تصور شجاعة الخوارج تنكر في شعرهم وخطبهم، لأن هناك جاماً مشتركاً يجمع بينهم وهو اعتبار الموت طريق الوصول إلى الراحة الأبدية.

ج : العرض على الجهاد:

توجه الخوارج في خطبهم إلى الناس، بدعوتهم إلى الالتحاق بهم، مذكرين إياهم بما فرض على المسلم من جهاد، وبما يناله من فضل عند ربه إذا قام بواجبه.

من ذلك ما نجده في خطبة «حيان بن ظبيان» في جمع من الخوارج عام ثمانية وخمسين للهجرة. يقول: «إن الله عز وجل كتب علينا الجهاد فَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ وَثَوَابَهُ فَلِيسلِكْ سَبِيلَ أَصْحَابِهِ وَإِخْرَانِهِ، يَؤْتِهِ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ».

ومن ذلك أيضاً ما نجده في خطبة عبد رب الصغير حيث يقول لأصحابه: «..... فَالْقَوْا عَدُوكُمْ، فَإِنْ غَلَبْتُمْ عَلَى الْحَيَاةِ، فَلَا يَغْلِبُنَّكُمْ عَلَى الْمَوْتِ، فَتَلَقَّوْا الرِّمَاحَ بِنَحْرِكُمْ، وَالسِّيُوفَ بِوجُوهِكُمْ، وَهَبُّوا أَنفُسَكُمْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، يَهْبِئُهَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ»^(٢).

(١) م. س (٣٢٣).

(٢) أحمد الحوفي - أدب السياسة (٣٢٦).

ونجد هذه المعاني نفسها في خطبة «صالح بن مسرح» أيضاً.

د : الحديث عن التقوى والأخلاق:

لرجأ الخوارج في خطبهم، كما في أشعارهم إلى التغنى بقيم إخوانهم، المستمدّة من القرآن وال تعاليم النبوية، وذلك استدراراً لرأفة الناس عليهم واستدعاء لهم على اللحاق بهم.

نلاحظ ذلك في أكثر خطبهم وخاصة في خطبة أبي حمزة الخارجي في المدينة حيث يقول عن أصحابه: «شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضةٌ عن الشرِّ أعينُهم ثقيلةٌ عن الباطلِ أرجلُهم، أنضاءٌ عبادةٌ وأطلاعٌ سهر، باعوا أنفساً تموتُ غداً بأنفسِ لا تموتُ أبداً».

فأبو حمزة يصور إخوانه بأنهم شبابٌ ولكن العبادة والتشفّف والزهد في الحياة حولهم إلى كهول، فعيونهم تغضّ عن الشر لانشغالها بالخير، وأرجلهم لا طاقة لها على التوجّه نحو الباطل فهم انصرفوا إلى العبادة ليلاً ونهاراً حيث انهم اعتمدوا تجارة رابحة مع ربهم فباعوه أنفسهم التي هي ميتة لا محالة بالسعادة الأبدية في جنات النعيم.

٢ - المراسلة:

لعبت المراسلة دورها الأولى في الحياة السياسية العربية منذ أيام الرسول، وقد تطور هذا الفن في العصرين

الإسلامي والأموي حتى أصبح له ديوان خاص في عهد عبد الملك بن مروان.

ولجأ الخوارج إلى استعمال الرسائل في نقل آرائهم إلى الغير، أو في توضيح مواقفهم تجاه بعضهم البعض، وأهم موضوعات التراسل عندهم:

أ : الخلاف بين الفرق الخارجية :

نجد ذلك واضحاً في رسالة «نجدة بن عامر الحنفي» إلى «نافع بن الأزرق» عقب الخلاف الذي حصل بينهما وأدى إلى انشقاقهم المعروف قال نجدة: «..... تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك، فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك، فغویت، فأكفرت الذين عذّرهم الله في كتابه من قِبَلِ المسلمين وضعفتهم». ^(١)

يبين نجدة في هذه الرسالة لماذا أعلن انفصاله عن الأزرقة، وفند آراء نافع واتهمه بالابتعاد عن جادة الحق واتباع الشيطان، مستشهدًا بأيات القرآن التي تعزز العاجز والمريض عن الجهاد في سبيله.

ورد عليه نافع برسالة ضمنها هو أيضًا رأيه، داعيًا نجدة إلى التوبة والعودة إلى الأزرقة، وقد استشهد هو أيضًا بأيات

(١) أحمد العوفى (٤٠٣) -

من القرآن الكريم ليثبت رأيه، يقول نافع:
«..... أما هؤلاء الْقَعْدُ، فليسوا كما ذكرت
ممن كان بعهد رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا بمكة مقهورين، لا
يجدون إلى الهرب سبيلاً، ولا إلى الاتصال بال المسلمين
طريقاً.....»^(١).

ب : الجدل مع بقية الأطراف:

حاول كل حزب من الأحزاب المعروفة في العصر
الأموي السيطرة على الموقف. وكان يلجم، لبلوغ هذا
الهدف، إلى وسائل كان التراسل إحداها.

من ذلك ما فعله الحجاج بن يوسف عندما أرسل كتاباً
إلى قطري بن الفجاءة، يدعوه فيه إلى الرجوع عن رأيه،
والالتزام بطاعة الأمويين. فيرد عليه قطري بكتاب يقول فيه:
«..... ذكرت في كتابك أنني كنت بدويًا استطعمُ
الكُسرَةَ، وأبدُرُ إلى التمرَة؟ ووالله لقد قلت زوراً، بل الله
بصَرَني من دينه ما أعماك عنه، إذ أنت سائح في الضلالَةِ،
غَرِقُ في غُمراتِ الْكُفْرِ»^(٢).

ج : الدعوة إلى الجهاد:

إن هذا النوع من الحض على الجهاد كان سلاحاً
يستعمله كل من الأمويين وخصومهم في سبيل كسب مزيد من

(١) م . س (٤٠٥). (٢) م . س (٤٠٨).

المؤيدين إلى جانبهم ، ونجد في رسالة نافع بن الأزرق إلى
أهل البصرة نموذجاً منه حيث يقول : «.....
فقيم المقام بين أظهر الكفار؟ ترون الظلم ليلاً ونهاراً وقد
ندبكم الله إلى الجهاد».

٣ - التناظر :

إذا كانت الخطابة هي وسيلة الخطيب لإيصال رأيه إلى
سامعيه ، ومحاولة إقناعهم بهذا الرأي ، وكذلك الرسالة التي
يستهدف صاحبها أن يضمنها معتقداته وأفكاره علها تؤثر فيمن
تصل إليه فترسخ لديه قناعة أو تزيحه عن موقف؟ فإن المتلقي
هو أقرب الوسائل لتبادل الآراء والمعتقدات ومحاولات كل من
المتلقين إقناع خصمه بالحجج والبراهين التي يقدمها
بصواب توجّهه وصدق عزيمته .

ويرى «ابن تيمية» في كتابه «العقيدة الواسطية» أن
المسلمين في صدر الإسلام «كانوا يرون أن التناظر والتجادل
في الاعتقاد يؤدي إلى الانسلال عن الدين ، من أجل ذلك كان
المسلمون عند وفاة الرسول على عقيدة واحدة إلا من كان
يُبطن النفاق؟ ولم يظهر البحث والجدل في مسائل العقائد إلا
 أيام الصحابة حين ظهرت بدع وشیع اضطر المسلمون إلى
 مدافعتها ومن ثم تفرقت الفرق ونشأ علم الكلام حجاجاً
 للمبتدعة الحائدين عن طريق السلف والمخالفين للدين» .

ولقد أفاد الخوارج من هذا الفن الأدبي حيث أنهم غالباً ما كانوا - أثناء المعارك مع الخصوم - يلتجأون إلى مثل هذا النوع من الحوار، عليهم بذلك يقنعون من يتوجهون إليه بحديثهم ، بصواب فكرتهم واستعماله عدوهم إلى جانبهم .

وقد حفلت كتب التاريخ والتراث بأخبار مناظراتهم للولاة والقواعد رغم ما كان بين الطرفين من احتلال في موازين القوة ومناعة الموقف العسكري . لكن ما كان يعرض هذا الاحتلال لدى الشرارة ذلك الإيمان القاطع بصحة المعتقد، وتلك الشجاعة النادرة في مواجهة أشد المواقف حرجاً .

ولقد تشعبت موضوعات تناظرهم مع الآخرين بتشعب مناحي الحياة عامة ، لكنها كانت أبرز ما تظهر في الدفاع عن العقيدة، وإظهار أخطاء الآخرين .

ولعل مناظراتهم الطويلة مع علي بن أبي طالب، ومع عبد الله بن عباس ، عند بداية خروجهم ما يظهر أهمية هذا الشكل الأدبي في إبرازهم لوجهة نظرهم والدفاع عنها^(١) .

ويروي «المبرد» في كتابه «الكامل في اللغة والأدب»^(٢) طائفه من محاوراتهم مع الأمويين فيقول في أحدهما: «يروى أن رجلاً من أصحاب زiad (بن أبيه) قال: خرجنا في جيشِ

(١) راجع في هذا العدد القسم المتعلق بتاريخهم السياسي من هذا البحث.

(٢) الجزء الثاني ص: (١٨٤ - ١٨٥).

نُرِيدَ خراسان، فمررنا بأسك فإذا نحن بهم^(١): ستة وثلاثون رجلاً، فصاح بنا أبو بلال: أقصدون لقتالنا أنتم؟ فوقف أخي بيابه فقال: السلام عليكم. فقال مرداس (أبو بلال): وعليكم السلام: فقال لأخي: أجهش لقتالنا؟ فقال له: لا، إنما نريد خراسان. قال: فأبلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنفسد في الأرض، ولا لنروع أحداً ولكن هرباً من الظلم، ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء إلا أعطياتنا. ثم قال: أندب أحداً إلينا؟ قلنا: نعم، أسلم بن زرعة الكلابي. قال أبو بلال: فمتى ترونـه يصل إلينا؟ قلنا: يوم كذا وكذا. فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

فلما وصل «أسلم» صاح به أبو بلال: أتق الله يا أسلم، فإنـا لا نريد قتالـا، ولا نحتاجـن شيئاً، فـما الذي تـريـد؟ قال: أـريد أن أـرـدكم إلى ابن زـيـاد. قال مـردـاس: إـذـا يـقـتـلـنـاـ. قال: وإن قـتـلـكم؟ قال: تـشـركـهـ في دـمـائـنـاـ. قال أـسلـمـ: إـنـيـ أـدـينـ بـأـنـهـ مـحـقـ وـبـأـنـكـ مـبـطـلـونـ. فـصـاحـ بـهـ «ـحـرـيـثـ بـنـ حـاجـلـ»ـ: أـهـوـ مـحـقـ وـهـوـ يـطـيعـ الـفـجـرـةـ وـهـوـ أـحـدـهـمـ، وـيـقـتـلـ بـالـظـنـهـ وـيـخـصـ بـالـفـيءـ وـيـجـورـ فـيـ الـحـكـمـ؟

ويروي «أبو الفرج الأصفهاني» في كتابه «الأغاني»^(٢) ما يلي: «كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتـسـاءـلـونـ بينـهـمـ عن

(١) أي المخواجـ.

(٢) الجزء السادس، ص: (١٤٩).

أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يهيج بعضهم بعضاً. فتوافق يوماً «عبيدة بن هلاك اليشكري» و«أبو خرابة التميمي» وهما في الحرب.

فقال عبيدة: يا أبا خرابة، إني سائلك عن أشياء، أفتصدقُني في الجواب عنها؟ قال: نعم، إن تضمنست لي مثل ذلك، قال: قد فعلت. قال: سلْ عمّا بدا لك. قال عبيدة: ما تقول في أئمتكم (يقصد بنى أمية)؟.

قال أبو خرابة: يبيحون الدم الحرام، والمال الحرام، والفرج الحرام.

قال عبيدة: ويحك! فكيف فعلهم في المال؟ قال: يجبونه من غير حله، وينفقونه في غير حقه. قال: فكيف فعلهم في اليتيم؟ قال: يظلمونه ماله، ويعنونه حقه، وأ..... أمة، قال: ويلك يا أبا خرابة! ألم هؤلاء تتبع؟ .. .

وقد قال الحجاج لرجل من الخوارج يوماً: إني لأبغضكم. فقال له الخارجي: أدخل الله أشدنا بغضاً لصاحبه الجنة.

تلك هي أهم موضوعات الخوارج الأدبية، شرعاً ونثراً، وقد عبروا من خلالها عن آرائهم ومبادئهم، فشكوا من الظلم، وحضروا الناس على الخروج معهم والجهاد في سبيل

إقامة مجتمع تسوده العدالة والمساواة بين جميع المسلمين.

٤ - خصائص الأدب الخارجي :

لقد كان لموقف الخوارج السياسي من مسألة التحكيم، اثره البعيد في نتاجهم الأدبي إذ صيغَ كثير منه حول تلك المسألة المهمة في التاريخ الإسلامي، فانتقدوها، واتهموا من وافق عليها بالكفر والإلحاد، ودعوا إلى نقضها بقوة السلاح، فقتلوا علياً وحاولوا قتل معاوية وعمرو بن العاص، ورفضوا تحكيم الرجال في أمر الخلافة وأعلنوا «لا حَكْمَ إِلَّا اللَّهُ».

وجد الخوارج في مبادئ النظام الإسلامي نموذجاً كاملاً للوحدة بين جميع المسلمين، ونظروا إلى الخلفاء، فوجدوهم يفرقون بين المسلم والمسلم، وبين القبيلة والقبيلة، فيعززون مكانة العصبية في قلوب العرب بعد أن قضى عليها الدين ردها من الزمن، وهذا ما دفع الخوارج إلى رفض هذه السياسة التي تدعو إلى التشتت والانقسام، فنادوا بالمساواة بين جميع عباد الله وأعلنوا أنَّ «أولى عباد الله بالله من شَكَرٍ» كما يقول أحد شعرائهم - عمران بن حطّان - كما رفضوا عادات البدو قبل الإسلام من شراب ولهو وغناء، واستبدلوا بها تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والجهاد في سبيل الله .

وكان للقرآن والحديث أثر بَيْنَ في جميع آثار الخوارج الأدبية، حيث نجد بعض شعرائهم يصوغون آيات القرآن في أبياتهم وقصائدهم، كما نجد بعض خطبائهم يكثرون من ذكر هذه الآيات حتى إن بعضهم كان يقصر خطبته عليها دون زيادة ولا نقصان.

لقد كان هُمُّ الخوارج إحقاق تعاليم الدين الإسلامي كما فهموها، بصرف النظر عنمن يتولى الأمر، ما دام مقيماً لأصول ما يؤمنون به، وقد نتج عن ذلك أن أكثر أدبهم قيل في العصر الأموي لأن معاركهم السياسية والعسكرية قامت في هذا العصر بشكل خاص، بينما خفت صوتهم مع العباسيين وغاب أدبهم نتيجة ضعف قوتهم العسكرية واعتنق أكثرهم لمبدأ القعود والتقبة.

ولقد طُبع أدب الخوارج بخاصة فريدة، وهي التلازم الكامل أو شبه الكامل بين القول والعمل، بين الفن والعقيدة، بين الأدب والحياة.

ومهما يكن من أمر، فإن باستطاعتنا ملاحظة الخصائص التالية في أدب الخوارج:

أ- ضياع الكثير منه:

لقد تعرض الخوارج، كفئة سياسية، لشتي أنواع الضغط والتنكيل. ونظر الناس إليهم نظرة خوف وحذر، لأن

«الشراة»، برأي الخلفاء، خارجون على الدين الإسلامي، ولذا لم يسلم أدبهم من هذه الحملة، فخضع لكثير من الأهمال والازدراة.

يتضح ذلك من موقف الرواة والمؤرخين منهم عموماً. فعندما يدور الكلام على شخصية من شخصياتهم الأدبية أو العسكرية، أو على معركة من معاركهم، فإن المؤرخ غالباً ما يتبع كلامهم بكلمة «لعنهم الله»^(١). أو يقولون عن عقائدهم وفروعهم بأنها قامت على «أصول فاسدة»^(٢).

وهذا ما حمل الناس على عدم الإكتراث بأدبهم شرعاً ونثراً، إلا ما وجدناه من مقطوعات شعرية متفرقة وأخبار حربية وبعض الخطب في انحاء متفرقة من كتب الأقدمين ومؤلفاتهم^(٣).

ب - السياسة الدينية:

كان أدب الخوارج دعوة لمذهبهم السياسي، الديني، واحتجاجاً له، ونقضاً لمذاهب خصومهم، كما أنه كان تصويراً صادقاً لشجاعتهم وبرولتهم واستهانتهم بلقاء الموت، ومن ذلك قول قطري مناجياً «ذا العرش»:

(١) الأصبهاني - الأغاني - ج ١٠ و ١٦ و ٢٠ في مواضع متفرقة.

(٢) تاريخ ابن خلدون - ج ٣ . ص: (١٧٠).

(٣) راجع مقدمة الفصل حول «آثار الخوارج الأدبية».

أَذَا العَرْشٍ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ
 عَلَى شَرْجَعٍ يُعْلَى بِخُضْرِ الْمَطَارِيفِ
 وَلَكِنْ أَحْنَ يَوْمِي سَعِيداً بِعُصْبَةِ
 يُصَابُونَ فِي فَجٌّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
 وَمِنْ أَجْلِ التَّهَافَتِ عَلَى الْمَوْتِ لِلقاءِ الْيَوْمِ الْمَوْعِدُ،
 نَجَدُ عِنْدَهُمْ تِلْكَ النُّغْمَةُ الْقَوِيَّةُ الَّتِي تَصُورُ اسْتِطَالَةَ الْحَيَاةِ أَيِّ
 التَّبَرُّمُ بِاِنْتِصَارِ الزَّمْنِ. نَقُولُ «أَمْ حَكِيمٌ»^(١) :
 أَحْمَلَ رَأْسَأَ قَدْ سَئَتْ حَمْلَهُ .

وَقَدْ مَلَلتُ دَهْنَهُ وَغَسلَهُ .

إِلَّا فَتَنِي يَحْمِلُ عَنِّي ثَقْلَهُ .

وَيَقُولُ : «الْحَوَيْرَثُ الرَّاسِبِيُّ» :

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلَوْمُهَا :

هَبَلْتُ دَعِينِي قَدْ مَلَلتُ مِنَ الْعَمَرِ^(٢) .

وَفِي الدَّرْوَةِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عُمَرَانَ بْنَ حَطَّانَ :
 أَفِي كُلِّ عَامٍ مَرْضَةٌ ثُمَّ نَفَاهُ

وَيَنْعِي وَلَا يُنْعِي مَتَى ذَا إِلَى مَتَى؟

(١) أَمْ حَكِيمٌ : هِي إِحْدَى الْخَارِجَيَّاتِ الْلَّوَاتِي خَضَنَ الْمَعَارِكَ إِلَى جَانِبِ
الرِّجَالِ الْبَوَاسِلِ .

(٢) هَبَلْتُ : دَعْوَةُ عَلَيْهَا ، أَيْ اتَرَكَنِي أَمْوَاتٍ .

ولعل أوضح دعوة لملقاء وجه الرحمن واختصار المسافة بين الحياة الدنيا وما فيها من شرور وظلم، والحياة الآخرة وما فيها من عدالة ونعم، يمثلها «صالح بن مسرح» في خطبته أمام الصفرية حيث يقول: «فَتَسِّرُوا - رَحْمَكُمُ اللَّهُ - لِجَهَادِ هَذِهِ الْأَحْزَابِ الْمُتَخْرِبَةِ وَأَئْمَةِ الْضَّلَالِ الظُّلْمَةِ، وَالْخُرُوجُ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ، وَاللَّحَاقُ بِأَخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَاعُوا الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَلَا تَجْزِعُوكُمْ مِنَ الْقَتْلِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّ الْقَتْلَ أَيْسَرُ مِنَ الْمَوْتِ، وَالْمَوْتُ نَازِلٌ بِكُمْ».

إن هذه النزعة الشديدة نحو الاستشهاد هي ما يميز عامة الخوارج - خاصة في بداية عهدهم - عن سائر الفرق الإسلامية، حيث رأت الشيعة أن التقيّة واجبة عندما يكون الخروج طريقة للهلاكة ليس إلا، ورأت السنة أن الصبر على المكاره هو طريق الخلاص، بينما رأت الصوفية - فيما بعد - أن تقصير المسافة بين الله والإنسان يتم قبل الموت بالاتحاد والفناء فيه.

جـ - تأثيرهم بالقرآن :

لقد اتصلت ثورات الخوارج بمبادئ الدين الإسلامي اتصالاً وثيقاً، يتضح ذلك من كثرة استشهاداتهم بالقرآن والحديث فيما يقولون من شعر ونشر.

وقد صرَّ أبو حمزة الخارجي أصحابه بقوله:
..... قد نظر الله إليهم في جوف الليل، مُنْحِنِيَّاً
أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر
الجنة بكى شوقاً إليها، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة
كان زفير جهنم بين أذنيه.

ويقول عيسى بن عاتك:

هم الفئة القليلة دون شك
على الفتنة الكثيرة ينصرونا
وهو تأثر واضح بقوله تعالى: (وكم من فتنة قليلة غلبت
فتنة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) ^(١).

كما يبرز ذلك في قول عمران:

ونحن بنو الإسلام والله واحد
وأولى عباد الله بالله من شكر
ففيه تضمين لمعنى الآية الكريمة: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عند الله أَنْقَاصُكُمْ).

د- تمسُّكهم بالرابطة الجديدة:

ونتج عن ذلك التأثير بالقرآن، أن خلت أبياتهم
وقصائدتهم وخطبهم مما يدور حول العصبية القبلية التي

(١) سورة البقرة. (آية ٢٤٩).

ُعرفت في أدب الجاهليين، وصارت موضوعاتهم تستقي من الإسلام، فقد تحولَ فن المديح - القديم - عندهم إلى تصوير تقى الإخوان وشجاعتهم في الدفاع عن المبدأ الالهي الذي بات يشكل نقطة الفصل بين العطاح والفلاح، ويتبين ذلك من قول عمران في موقعة «ميجالس» قرب الأهواز، وكان أميرهم يومها أبو بلال، مرداسُ بن أدية، يقول عمران:

وإخوة لهم طابت نفوسهم

بالموت عند التفاف الناس بالناس

والله ما تركوا من منبع لهدى

وما رضوا بالهوننا يوم ميجالس^(١)

حيث نرى الشاعر يتكلم عن الإخوة الشراء، مذكراً من بقى منهم بأن السابقين لم يت婉وا عن نصرة الحق، خوفاً من الموت، بل أقبلوا عليه كارهين للظلم، مقدمين في سبيل ذلك نفوسهم الأبية التي ما استفت إلا من منابع الهدى والصلاح. كما يتتبّع هذا التمسك بالرابطة الجديدة في أشعار عمرو بن الحصين، الفارسي الأصل، الخارجي المذهب، حيث لا نجد لذكر جنسه وأصله أثراً فيما يقول^(٢).

(١) الهوننا: المهانة والذل.

(٢) راجع أشعاره في «شعر الخارج» للدكتور احسان عباس. ص ٨٤ - ٩٠.

ولم يقتصر ذلك على الشعر، بل تعداه إلى التأثير أيضاً حيث خلت خطبهم إلا من وصف للإخوان الصابرين على مظالم الحكام وجور الزمن، المدافعين عن الحق بعزيمة لا تُحْدَد فهذا عبد الله بن يحيى (طالب الحق) يقول في خطبة له موجهاً كلامه إلى اليمنيين سنة مئة وتسعة وعشرين هجرية :

« أيها الناس، إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقایا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون على الألم في جنوب الله تعالى، يُقتلون على الحق في سالف الدهور شهادة، فما نسيهم ربهم، وما كان ربُك نسيّا^(١) إذا، هؤلاء هم الخوارج في نظر ابن يحيى، جماعة قليلة العدد، اصطفاها الله من أهل العلم لتقوم بواجب التبشير والهداية، وكتب عليها الألم والمشقة في الحياة الدنيا، لتفوز بالأخرة وتنال جزاءها خير الجزاء .

هـ - رفضهم التكسب في الشعر :

إن إيمان الخوارج بمبدئهم، وكفاحهم المرير من أجله، جعلهم يرفضون مبدأ شاعر منذ العصر الجاهلي، وهو التكسب في الشعر، بغض النظر عما إذا كان الممدوح

(١) أحمد العوفي - أدب السياسة (٣٣٠).

يستحق المديح أَمْ لَا ، طالما أَنَّ الْعَطَاءَ وَالنَّوَالَ مُضْمَونٌ
الوصول في آخر القصيدة .

ولذا فقد حارب الخوارج هذا التوجه ودعوا في المقابل
إلى طلب العون والمساعدة ممن لا تغنى عنه خزائن الأرض
 شيئاً . وهذا عمران بن حطان يقول :

أَيُّهَا الْمَادِحُ الْعَبَادُ لِيُعْطِي
إِنَّ اللَّهَ مَا بِأَيْدِيِ الْعَبَادِ

فَاسْأَلُ اللَّهَ مَا طَلَبْتُ إِلَيْهِمْ
وَارْجُ فَضْلَ الْمَقْسُمِ الْعَوَادِ
لَا تَقْسُلْ فِي الْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ

وَتَسْمِ الْبَخِيلِ بِاسْمِ الْجَوَادِ

كما أن هناك ميزة أخرى في أشعارهم ، نتجت عن هذا
التوجه بعيد عن التزلف والكذب ، أعني ميزة الصدق وقول
الحقيقة ، ولذا خلت معظم قصائدهم من المجاز والصور
البعيدة التصديق . يقول عمران لزوجه «جمرة» ابنة عممه :

يَا جَمْرَ إِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي
مُثِنٌ لِخَلَاتِ صَدْقٍ كُلُّهَا فِيْكِ^(۱)
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقْلِ كَذِبًا
فِيمَا عَلِمْتُ وَإِنِّي لَا أَزْكِيْكِ

(۱) خلات صدق : صفات حسنة .

فالصدق في القول، والإخلاص في العمل، هما مرشد
الخارجي في كل ما يقوم به من مهام تنضح بالتضحيه وفي ما
يتجه من أدب.

أو كقول عمران أيضاً:

لو كنتُ مستغراً يوماً لطاغيةٍ
كنتُ المقدمَ في سرِّي واعلانِي
لكنْ أبْسَتْ ذاكَ آياتَ مُظْهَرَةٍ
عند التلاوة من طهَ وعُمرانَ.

فصدقهم وابتعادهم عن التزلف والرياء، ناتج عن
تعلقهم الشديد بما أنزل في القرآن، الذي هو تعبير عن العدل
الكلي، فمن تمسّك به ناصر هذا العدل وعجل في تطبيقه بين
البشر:

و- رقة العواطف وقوتها:

كان الخوارج بمجملهم من الأعراب والقراء، ولذلك
توفرت لهم سهولة التعبير وقوته المستمدتان من القرآن ولغة
البادية، مصدر ي اللهجة الصحيحة.

ثم إن أكثر أدبائهم كانوا من المقاتلين، الذين قرروا القول
بالعمل، ولذلك جاء شعرهم يطفع بحرارة عاطفية دينية لم
يشهد لها أدب سواهم من الأحزاب والفرق الإسلامية، الذين

كان أكثر شعرائهم ينطقون بالشعر لقاءً أجراً يدفع لهم دون أن يكون لهم في غالب الأحيان صلة حميمة بالممدوح.

ولنستمع إلى هذا العتاب الرقيق والنصح الهدى، يقدمه قطرى بن الفجاءة إلى أحد أخوانه، سبرة الجعدي، الذي استطاع الحجاج بن يوسف، عدو الخوارج الأول، أن يستميله إليه ويجالسه في قصره، يقول قطرى :

فراجعْ أبا جعِدِ ولا تكْ مُغضيَا

على ظلمةِ أعيشت جميعَ الناظر^(١)
وتبْ توبةً تهدي إليك شهادةً
فإنك ذو ذنبٍ ولست بكافرٍ
وسرِّ نحونا تلقَّ الجهاد غنيمةً
تفذُّك ابتهاعاً رابحاً غيرَ خاسِرٍ
هي الغاية القصوى الرغيبُ ثوابها

إذا نال في الدنيا الغنى كلُّ تاجرٍ
فإننا نجد في هذه الأبيات رقةً وعدوّةً تمثلان في تلك
الدعوة الصادقة، الصادرة من القلب، يقدمها شاعر إلى أخي
عزيز، أخطأ، وعليه الرجوع عن هذا الخطأ البسيط الذي
يمكن تصحيحه بسهولة وبساطة، وذلك بالخروج عن طاعة
الطاغية والالتحاق بركب المجاهدين الذين تغنى صحبتهم

(١) مغضياً: مطبعاً جفنيك حتى لا يرى - وأعيشت: جعلتها لا تبصر.

عن صحبة الأشرار، ويكون الربع معهم - في الآخرة - أوفر وأعظم من أي ربع آخر.

وتذكر كتب التاريخ أن «سبرة» يقرأ الكتاب، فيبكي، ويركب فرسه، ويلحق «بقطري» ناركأن للحجاج كتاباً فيه:

فأقبلت نحو الله بالله واثقا

وما كررتني غير إله بفارج

وتبرز تلك العاطفة الجياشة في خطبهم التي أثرت عنهم، ذلك أن الخطبة تتوجه مباشرة إلى السامعين، وبذلك تحول إلى صلة وصل بين قلب الخطيب، وقلوب سامعيه، ويعدو أثراً أقوى، ومفعولها أشد من وقع القصيدة أو الكتاب الذي يرسل من مكان إلى آخر عبر الأودية والشعاب فيخسر كثيراً من حرارة القلب وتوهج العاطفة.

ولنستمع إلى أبي حمزة في حديثه عن أصحابه: «..... شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنصاء عبادة واطلاح سهر، باعوا أنفساً تموت غداً بأنفس لا تموت أبداً».

الآن نحسُّ عند قراءة هذه المقطوعة بمدى الصدق والإيمان الذي يطفع به قلب هذا القائد، فينقله إلينا بكلمات تتسابق إلى اللسان وقد غلقتها رقة متناهية وبساطة وعدوية نادرة؟ .

ز - الابتعاد عن التقليد:

فقد درج العرب منذ الجاهلية على التطرق إلى موضوع أساسي تدور حوله قصائدهم، ولكنهم للوصول إلى ذلك كانوا يرجعون على أكثر من فكرة فيبدأون القصيدة بغزل أو نسيب، ثم يوصف للفرس أو الجمل أو ما يشبه ذلك، حتى إذا أنسوا أنه لم يعد هناك ما يمكن اضافته إلى تلك القصيدة من موضوعات، عطفوا على الفكرة التي كانت أساساً هي الدافع لهم للنظم والإلقاء.

أما شعر الخوارج فقد تميز بتلك الوحدة الفكرية التي تشد أبيات القصيدة بعضها إلى بعض حول هدف واحد وغاية واحدة، قلما تجاوزوها إلى غاية أخرى، وحتى لو افتح بعضهم قصيده بشيء من الغزل أو النسيب فإن ذلك يكون عبر الجمع بين الحببية وقدسية الجهاد في وحدة موضوعية تامة. فلنستمع إلى قطري يقول:

لعمرك إني في الحياة لزامه
وفي العيشِ ما لم ألقِ أم حكيمٍ
من الخفراتِ البيضِ لم يُرَ مثلها
شفاءً لذِي بُثٍ ولا لسقِيمٍ^(١)

(١) الخفرات: م: الخفارة: الخجولة. - البث: الشوق.

ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت
 طعان فتن في العرب غير ذميم^(٢)
 رأت فتية باعوا الإله نفوسهم
 بجنت عدن عنده ونعم
 إذا لم تعد القصيدة عندهم إلا شكلاً من الإيمان الذي
 يغلف كل موضوعات أدبهم وشئون أفكارهم وخواطرهم.
 حـ - تشابك نسبة القصائد عندهم :

استقى الأدب الخارجي موضوعاته ومعانيه من ينبوع واحد هو القرآن والسنة، وهدف إلى غاية واحدة هي القضاء على الظلم والجور والفساد، ولذلك جاءت قصائدهم متشابهة إلى حد بعيد، في الموضوع والمعنى والأسلوب أيضاً، وهذا ما جعل المؤرخين والرواة يقعون في مشكلة نسبة قصائدهم إليهم، فغالباً ما ينسبون القصيدة إلى أكثر من شاعر، فأبو الفرج الأصفهاني يورد لنا أمثلة على ذلك، فيقول عن هذه الأبيات :

لقد زاد الحياة إلى حبـا
 بناتي انهن من الضعاف
 مخافة أن يذقن البؤس بعدي
 وأن يشربن رنقاً بعد صافـ

(١) يوم دولاب: معركة جرت في «دولاب». - ذميم: مذموم.

وَأَنْ يَغْرِيَنَّ إِنْ كُسَيْ الْجَوَارِيِّ
 فَيُبَدِّيَ الضَّمْرُ عَنْ كُوْمٍ عِجَافٍ
 وَلَوْلَاهُنَّ قَدْ سُوَمْتُ مَهْرِيِّ
 وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضَّعْفَاءِ كَافٍ

يقول الأصبهاني : إن أبا عمرو الشيباني نسبها إلى
 عمران بن حطان ، بينما نسبها المدائني إلى عيسى العبطي
 وكلاهما من الشراة ، ونسبها بعضهم إلى قطرى بن الفجاءة أو
 إلى أبي خالد القتاني .

كذلك اختلف الرواة في أبيات هذه القصيدة التي قيلت
 يوم دولاب :

إِذَا قَلْتُ تَسْلُو النَّفْسَ أَوْ يَتْهِيَ الْمَنْ
 أَبْسَ الْقَلْبُ إِلَّا حُبُّ أُمَّ حَكِيمٍ
 مَنْعَمَةٌ صَفَرَاءُ حَلْوُ دَلَالُهَا
 أَبِيتُ بِهَا بَعْدَ الْهَدْوِ أَهِيمُ
 قَطْوُفُ الْخَطَا مَخْطُوْطَهُ الْمَنْ زَانَهَا
 مَعَ الْحَسْنِ خَلْقٌ فِي الْجَمَالِ عَمِيمٌ

فقد نسبها المدائني إلى صالح بن عبد الله العيشمي ،
 ونسبها المبرد إلى قطرى بن الفجاءة ، بينما قال خالد بن

خداش ان قائلها هو عمرو القنا، وقال وهب بن جرير: بل هو حبيب بن سهم^(١).

ط - جزالة أسلوبهم:

كان لبنيّة الحزب الخارجي الإجتماعية - فرآء أو أعراب - أثر عظيم الشأن في جعل أسلوبهم يمتاز بالجزالة والقوة. فقد كانوا بعيدين عن الحضارة وفسادها، وكانوا إلى ذلك يتفردون بتلك العزيمة التي لا تلين لتحقيق أهدافهم بالسيف واللسان معاً.

وإذا عرفنا أن أكثرهم كانوا يجيدون تلاوة القرآن ويحفظون معظم سوره وأياته، أدركنا لماذا استوت اللغة طبيعة بين أيديهم.

ثم إن بعضهم - كالطرماح - كان يستهويه الغريب في اللغة، وقد روي عنه أن «ابن الأعرابي» سُئل في شعر الطرماح عن ثمانية عشرة مسألة فأجاب على كلِّ : لا أدرى^(٢).

ومن ذلك أيضاً ما قاله «المبرد» من أن «الرهين المرادي» و «عمران بن حطان» كانا عليميين بالشعر واللغة، ولهمما مسائل كثيرة في العلم والقرآن والأثار والسير والسنن والغريب^(٣).

(١) راجع شوقي ضيف: العصر الإسلامي، ص: (٣٠٦ - ٣٠٧).

(٢) راجع سهير قلماوي: أدب الخوارج، ص: (١٢٤).

(٣) المبرد: الكلمل في اللغة والأدب: ج ٣: ص (٢٦٣).

ويمكن إجمال الخصائص الفنية لأدب الخوارج بما

يللي :

كان أدبهم جديداً في موضوعه، إذ أنه يدور حول ما جاء به الإسلام من تعاليم، متغذياً بأصوله السياسية والدينية، وكان جديداً في معانيه التي استقى بمعظمها من القرآن وأحاديث الرسول، وكان جديداً في غاياته القائمة على الجهاد في سبيل الله، لإقامة الحكم الصالح والنظام السليم من المفاسد، وكان جديداً في أساليبه المستقاة من منهل الشريعة الإسلامية وعذوبتها.

رابعاً : نماذج من أدبهم

انفرد الخوارج - بين كل الفرق الإسلامية - بخاصة مهمة، وهي أن جميع أدبائهم لم يكونوا من المأجورين، وإنما كانوا من دعاة المذهب ومن اعتقدوه أشد الاعتقاد، وأخلصوا له كل الإخلاص

ولم يكن شعراً لهم وخطباؤهم ممن يجيدون الكلام فحسب، بل كانوا إلى ذلك يجيدون حمل السلاح وخوض المعارك.

وقد جمع الدكتور احسان عباس في كتابه «شعر الخوارج» آثاراً شعرية لستة وستين شاعراً معروفاً، كما أضاف بعض المقطوعات التي لم يعرف صاحبها، وهي منسوبة للخوارج أيضاً.

ولعل أهم هؤلاء من حيث كثرة الإنتاج الأدبي وجودته، الطرماح بن حكيم الحكمي، وعمران بن حطان السدوسي، وقطرى بن الفجاءة المازني.

أما أشهر خطبائهم وكتابهم، فهم: نافع بن الأزرق،

وحيان بن ظبيان السلمي، ونجلة بن عامر الحنفي، وأبو حمزة الخارجي.

وهذه نماذج أدبائهم مع ذكر بعض الأخبار عن كل منهم وخصائص أدبه.

١ - نماذج شعرية:

١ - عمران بن حطان: أ - حياته:

جاء في كتاب الكامل للمبرد^(١): «هو أحدبني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وقد كان رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم».

يُكتَنِي بأبي السمّاك نشاً في البصرة ولا يُعرف تاريخ مولده، وكل ما يمكن الوصول إليه في هذه المسألة أنه كان شيخاً أول ولاية الحجاج على العراق، وقد تولاه هذا عام خمسة وسبعين أو سبعة وسبعين للهجرة.

كان قبل تشرّيه مولعاً بالعلم والحديث، وقد روى عن عائشة وأبي موسى الأشعري وابن عباس وابن عمر، وكان حريصاً على تحرّي الصدق في رواية الحديث، لذلك يرجح أنه رحل إلى الحجاز لأن عائشة لم تفارق هذا البلد إلا في

(١) ج ٢، ص ١٢٤ .

حرب العمل، وكذلك ابن عمر الذي قضى حياته معتزلاً في
الحجاج أيضاً.

لهذا تميزت حياته أول الأمر بأنه فقيه ومحدث، وبأنه
على رأي الجماعة، لا يجتمع إلى حزب سياسي أو فرقة دينية،
ثم تزوج ابنة عميه حمزة وكانت على مذهب الخوارج، ويروى
أنه أراد أن يصرفها عنه، لكنها استمالته إلى مذهبها.

كان ذلك وقد كبرت سنه، وطال عمره، فضعف عن
الحرب وقنع بالدعاهية إلى مذهب بلسانه، ولم يستطع أن
يشارك بسيفه، ورضي القعدة من الصفرية منه بهذا الجهد
البياني، فولوه زعامتهم، تقديرأً لبلائه في الشعر والخطابة،
وتقدیرأً لدرایته بالفقه والحديث.

لكن الحجاج لم يغفل عما لعمران من مقدرة في
الإثارة، فطارده، ففرَّ من العراق إلى الشام، وجعل يتنقل من
مدينة إلى أخرى، في استخفاء وتمويه، وتغيير للأسماء،
وكان إذا نزل بقبيلة انتسب نسباً يقربه إليها، مجازاة للقوم في
سخافاتهم وحرصاً على الحياة.

وفي ذلك يقول:

نزلنا فيبني بنى سعد بن زيد
وفي عسك وعامر عوثمان

وفي لخدم وفي أود بن عمرو
وفي بكر وهي بني الغدان

لكن الحجاج لم يسترح لفرازه واحتفائه، فأرسل إلى عبد الملك بن مروان يُعلمه بخبره ويصفه له، فاشتد عبد الملك في طلبه وأهدر دمه.

ونزل عمران في الشام على «روح بن زنباع» الجذامي وأinsiَ إلى كرمه وأخلاقه وادعى أنه أزدي، فاستضافه «روح» سنة كاملة، كان فيها معجباً بتفوٰي ضيفه وعلمه وأدبـه.

وصادف أن حدث «روح» عبد الملك عن ضيفه الأزدي، ذاكراً صفاتـه ومزاياهـ، فعرفـه عبدـ الملكـ وطلبـ إلى «روح» أن يأتيـ بهـ، فهربـ عمرانـ بحيلةـ لطيفةـ^(١)ـ، وتركـ لمضيفـ رسالةـ يقولـ فيهاـ:

بـا رـوحـ كـمـ مـنـ أـخـيـ مـثـوىـ نـزـلتـ بـهـ
قـدـ ظـنـكـ مـنـ لـخـمـ وـغـسـانـ
حـتـىـ إـذـ خـفـتـهـ فـسـارـقـتـ مـنـزـلـهـ
مـنـ بـعـدـ مـاـ قـيلـ عـمـرـأـنـ بـنـ حـطـانـ

(١) عرض روح على عمران اصطحابـه معـه إلى دارـ الخليفة لأنـ عبدـ الملكـ أحبـ التعرـفـ عـلـيـهـ. فقالـ لهـ عمرـانـ: هـذـاـ مـاـ كـنـتـ أـتـمنـاهـ مـنـذـ زـمـنـ طـوـيلـ، هـيـاـ اسـبـقـنـيـ إـلـيـهـ وـأـنـاـ عـلـىـ الـأـثـرـ.. فـهـربـ وـاحـتـفـيـ.

لو كنتُ مستغفراً يوم لطاغية
كنتُ المقدم في سري واعلاني
لكن ابت ذاك آيات مطهرة
عند التلاوة في طه وعمران
واتجه عمران نحو الجزيرة. ونزل ضيفاً على زفر بن
الحارث الكلابي، وانتسب له أوزاعياً، فأكرمه زفر.

وأثناء قيامه في الجزيرة، نزل رجل من الشام على زفر،
فلما رأى عمران سلم عليه، فقال له زفر: أتعرفه؟ قال: نعم،
إنه شيخ من الأزد رأيته ضيفاً لروح بن زباد، فقال زفر
لعمران: يوماً أوزاعياً ويوماً أزدياً، إن كنت عائلاً أغنيناك وإن
كنت خائفاً أويناك، فقال عمران: الله هو المغني، وارتحل
عن زفر تاركاً له هذه الأبيات:

إنَّ الْتِي أَصْبَحَتْ يَعِيَا بِهَا زُفْرٌ
أَعْيَتْ عَيَاءً عَلَى رَوْحِ بْنِ زَبَادٍ

مَا زَالَ يَسْأَلِي حَوْلًا لَا يَخْبُرُه
وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ وَخَدَاعٍ
حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِي وَسَائِلُه

كَفَ السُّؤَالُ وَلَمْ يَوْلُعْ بِاهْلَاعِي
وَانْتَقَلَ عمران إلى عمان، حيث التقى بجماعة من
الخوارج، فكشف عن حقيقته واستقر، لكن الحجاج ما زال

يلج في طلبه، حتى هرب واختبأ في قرية قريبة من الكوفة بين جماعة من الأزد، حيث مات سنة أربع وثمانين للهجرة.

قضى عمران - فيما يرجح - تسعة أعوام في تلك الحياة، فقد خرج في أول ولاية الحجاج، ونقل إلينا «ابن حجر العسقلاني» في كتابه «تهذيب التهذيب» عن ابن نافع، أنه توفي عام ٨٤ هـ. ومن المعروف أن الحجاج تولى العراق عام خمسة وسبعين للهجرة.

ب - نماذج من شعره:

- نموذج أول:

بعد أن قتل مرداس بن أدية. قال عمران:

لقد زادَ الْحِيَاةَ إِلَيْيَ بُغْضًا
وَحْبًا لِلْخَرْوْجِ أَبُو بَلَالٍ
أَحَدُرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فَرَاشِ
وَأَرْجُو الْمَوْتَ تَحْتَ ذُرَا الْعَوَالِيٍ^(١)
وَلَوْ أَنِّي عَلِمْتُ بِأَنَّ حَتْفِي
كَحَتْفِ أَبِي بَلَالٍ لَمْ أَبَالٍ^(٢)
فَمَنْ يَكُونْ هَمَّهُ الدُّنْيَا فَإِنِّي
لَهَا وَاللهُ رَبُّ الْبَيْتِ قَالٍ^(٣)

(١) أحذر: أحذر - ذرا: قم - العوالى: أعلى الرماح، أو ما بعد السنان.

(٢) حتفى: موته - لم أبال: لم اهتم. (٣) قال: مبغض.

وفيه يقول أيضاً:

يَا عَيْنُ بَكِيٍّ لِمَرْدَاسٍ وَمَضْرَعَهِ
يَا رَبَّ مَرْدَاسٍ أَجْعَلْنِي كَمَرْدَاسٍ
تَرَكْتِنِي هَائِمًا أَبْكِي لِلْمَرْزِئَتِي
فِي مَنْزِلِ مَوْحِشٍ مِنْ بَعْدِ إِيْنَاسٍ^(١)
أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرَفُهُ
مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مَرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِمَّا شَرِبْتَ بِكَأسٍ دَارَ أَوْلُهَا
عَلَى الْقُرُونِ فَذَاقُوا جُرْعَةَ الْكَاسِ^(٢)
فَكُلَّ مَنْ لَمْ يَذْقُهَا شَارِبٌ عَجِلاً
مِنْهَا بِأَنْفَاسٍ وَرِدٍ بَعْدَ أَنْفَاسٍ^(٣)

نمودج ثانٍ:

يطاردهُ الْحَجَاجُ، فَيَتَخَفَّى ثُمَّ يَكَادُ أَنْ يُنْكَشِفَ فِيهِ بَرْ
قَائِلًا:

يَا رَوْحُ كُمْ مِنْ أَخِي مُثَوِّي نَزَلتُ بِهِ
قَدْ ظَنَّ ظَنْكَ مِنْ لَخْمٍ وَغَسَانٍ^(٤)

(١) المَرْزِئَةُ: المصيبة العظيمة.

(٢) إِمَّا: أصلها: إِنَّمَا = من إنما مخففة. - الْقُرُونُ: الأجيال..

(٣) وَرِدٌ: شرب، يقال وَرَدَ الماء أي قصدها ليشرب.

(٤) أَخِي مُثَوِّي: صاحب دار، أو مقبر. يقال مثواه الأخير أي قبره.

حَتَّىٰ إِذَا حِفْتُهُ فَارْقَبْتُ مَنْزِلَهُ
 مِنْ بَعْدِ مَا قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حَطَابٍ
 قَدْ كُنْتُ جَارِكَ حَوْلًا مَا تُرْوَعُنِي
 فِيهِ رَوَاعُّ مِنْ أَنْسٍ وَمِنْ جَابٍ^(١)
 حَتَّىٰ أَرْدَتَ بَيْ الْعُظْمَىٰ فَأَدْرَكْنِي
 مَا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ خُوفٍ ابْنُ مِرْوَانٍ^(٢)
 فَاعْذُرْ أَخَاكَ أَبْنَ زَبْنَاعٍ فَإِنَّ لَهُ
 فِي النَّاثِبَاتِ خُطُوبًا ذَاتِ الْوَانِ^(٣)
 يَوْمًا يَمَانِ إِذَا لَاقِتُ ذَا يَمِنِ
 وَإِنْ لَقِتُ مَعْدِيًّا فَعَذْنَانِي^(٤)
 لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لِطَاغِيَةٍ
 كُنْتَ الْمَقْدَمَ فِي سِرْيٍ وَإِعْلَانِي^(٥)
 لَكُنْ أَبْتَ لِي آيَاتٌ مُّطَهَّرَةٌ
 عَنْدَ التَّلَاوَةِ فِي طَهَ وَعِمْرَانِ^(٦)

(١) تُرْوَعُنِي: تخيفني، رَوَاعُّ: ما يربّع.

(٢) الْعُظْمَىٰ: أي الخيانة العظمى - نهاية المطاف بتسليمها لعبد الملك.

(٣) النَّاثِبَاتِ: م: ناثبة: مصيبة ومثلها خُطُوبٌ: م. خطب.

(٤) يَمَانِ: يمانٌ وقد حذفت الباء للضرورة الشعرية.

(٥) طَاغِيَةٍ: حاكِمٌ جائز. - المَقْدَمَ: المقرب.

(٦) أَبْتَ: رفضت واستعصيت - طَهَ وعِمْرَانَ: اسماء سورتين في القرآن الكريم.

يترك منزل روح بن زباع، يقصد زُفر بن الحارث
الكلابي، ثم يهرب فائلاً:

إن التي أصبحت يعيا بها زُفر

أعيت عياء على روح بن زباع^(١)

مازال يسائلني حولاً لأخبره

والناس ما بين مخدوع وخداع^(٢)

حتى إذا انقطعت عنني وسائله

كفت السؤال ولم يولع به لامع^(٣)

فاكفف كما كفت عنّي إني رجل

إما ضميم وإما فتحة القاع^(٤)

واكفف لسانك عن لومي ومسئولي

ماذا تريده إلى شيخ لا وزاعي^(٥)

أما الصلاة فإني غير تاركها

كل أمرٍ للذِي يعني به ساع^(٦)

(١) أعيت - يعيا - عياء: تعبت بمعنى شقت عليه المعرفة.

(٢) حولاً: سنة.

(٣) وسائله: طرفة وأساليبه - الإلحاد: الخوف.

(٤) اكفف: دع عنك - ضميم: مقدم، في صلب قومه - فتحة القاع: لا أصل له.

(٥) مسئولي: وردت هكذا مسئولي والأصل أن تكتب الهمزة على الألف.

(٦) ساع: اسم الفاعل من سعى، والمعنى: وأهتم بنفسك واهتم أنا بخلي.

أَكْرَمْ بِرُوحٍ بْنَ زَبْدَاعٍ وَأَسْرَتِهِ
قَوْمٌ دَعَا أَوْلَيْهِمْ لِلْعُلَى دَاعٍ
جَاوَرُهُمْ سَنَةٌ فِيمَا أَسْرَرْ بِهِ
عَرَضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غَيْرُ نَهْجَاعٍ^(١)
فَاعْمَلْ فَإِنَّكَ مَنْعِي بِوَاحِدَةٍ
حَسْبُ الْلَّبِيبِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعِ
يَلْتَجِيءُ فِي فَرَارِهِ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَزْدِ، يَبْقَى فِيهِمْ حَتَّى
يَمُوتَ . يَقُولُ عَنْهُمْ :
نَزَلَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ مَنْزَلٍ
نُسَرْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَنْسِ وَالْخَفْرِ^(٢)
نَزَلَنَا بِقَوْمٍ يَجْمِعُ اللَّهُ شَمَلَهُمْ
وَلَيْسَ لَهُمْ عُودٌ سُوَى الْمَجْدِ يُعْتَصِرُ^(٣)
مِنَ الْأَزْدِ إِنَّ الْأَزْدَ أَكْرَمْ مَعْشِرٍ
يَمَانِيَّ طَابُوا إِذَا تَبَسَّبَ الْبَشَرُ^(٤)
فَأَصْبَحَتْ فِيهِمْ آمِنًا لَا كَمَعْشِرٍ
أَتُونِي فَقَالُوا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرَّ^(٥)

(١) نَهْجَاعٌ: مَضْطَرْبٌ.

(٢) الْأَنْسُ: الْإِطْمَانَ وَالْمَدْوَهُ - الْخَفْرُ: الْحَيَاءُ وَالْخَجْلُ.

(٣) هَذَا الْبَيْتُ كَنَاءٌ عَنْ كَرْمِهِمْ.

(٤) مَعْشِرٌ: أَسْرَةٌ، فَيْلَةٌ.

(٥) مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرَّ: أَيْ أَتُونِي فَقَالُوا: أَمْنٌ رَبِيعَةٌ أَمْ مُضَرٌّ، وَهُمَا =

أَمِ الْحَيُّ قَحْطَانٌ فَتَلَكُمْ سَفَاهَةُ
 كَمَا قَالَ لِي رُوحٌ وَصَاحِبُهُ زُفْرٌ^(١)
 وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُسْرُّ بِنَسْبَةٍ
 تَقْرِبُنِي مِنْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا نَفْرَ^(٢)
 فَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلَامِ وَاللهُ وَاحِدٌ
 وَأُولَئِي عِبَادِ اللهِ بِاللهِ مَنْ شَكَرٌ^(٣)

نموذج ثالث:

يهجو الحجاج عندما ألح في طلبه، يذكره بمهاجمة
 «شبيب» وزوجته له وهربه من قصره يقول:
 أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحَرَوبِ نَعَامَةُ
 رَبِّدَاءُ تَجْفَلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ^(٤)
 هَلَا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةَ فِي الْوَغْيِ
 بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٌ^(٥)

= قبيلتان اختنان وبريد: هل أنت من ربعة ومضر، أم من قحطان؟. لأن
قططان قبيلة أخرى.

(١) سفاهة: جهالة وطبيش.

(٢) وما مِنْهُمَا: أي وما مِنْهُمَا واحد...

(٣) معنى البيت أنه لم يعد هناك من مكان للعصبية القبلية التي حلّت محلّها ولالية الإسلام تصديقاً لقوله: «إنما المؤمنون أخوة».

(٤) ربداء: مُنْكَرَة. تجفل من صفير الصافر: شديدة الخوف.

(٥) غزاله: زوج شبيب - الْوَغْيِ: القناة - الشطر الثاني كتابة عن الخوف.

صَدَعْتُ غَزَّالَةُ قَلْبِهِ بِفَوَارِسٍ
 تَرَكْتُ مَنَابِرَهُ كَأَمْسٍ الدَّابِرِ^(١)
 أَلْقَى السَّلَاحَ وَخَذَ وَشَاحِي مَغْصِرٍ
 وَاعْمَدْ لِمَنْزِلَةِ الْجَبَانِ الْكَافِرِ^(٢)

نموذج رابع:

وي مدح قاتل علي بن أبي طالب. عبد الرحمن بن
 ملجم المرادي^(٣).

(١) صدعت: قطعت - تركت منابرها كأمس الدابر: أي تركت دياره حالية.
 (٢) وشاحي: من وشاح - مغصر: الفتاة في أول شبابها.. كتابة عن عدم
 رجولته حيث أن وشاح المغصر تضمه الفتاة الخجولة والحجاج كذلك
 هو.

(٣) قلب الفقيه الطبرى هذا المعنى فقال:
 يَا فَسِيرَةً مِنْ شَقِّيْ مَا أَرَادَ بِهَا
 إِلَّا لِيَهِمْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ بُشْرَانًا

انِي لَا ذَكَرْهُ بِوْمًا فَالْفَنَّ
 إِلَيْهَا وَالْعَنْ عُمَرَانَ بْنِ خَطَّانًا

وقال محمد بن أحمد الطيب:
 يَا فَسِيرَةً مِنْ غَنْوِيرٍ صَارَ ضَارِبَهَا
 أَشْقَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ إِنْسَانًا

إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيهِ ظَلَّتْ الْمُنْثَةُ
 وَالْعَنْ الْكَلْبُ عُمَرَانَ بْنِ خَطَّانًا

يَا ضَرِبَةٌ مِّنْ تَقْيِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
 إِلَّا لِيَتَلْعَبُ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رَضْوَانًا^(١)
 إِنِّي لَا ذُكْرُهُ حِينَأَفَخَسِبْتُهُ
 أَوْفَى الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا^(٢)
 أَكْرَمُ بَقْوَمٍ بَطُونَ الطَّيْرِ قَبْرُهُمْ
 لَمْ يَخْلُطُوا دِينَهُمْ بَغْيًا وَعَذْوَانًا^(٣)
 اللَّهُ دُرُّ الْمُرَادِيِّ الَّذِي سَفَكَ
 كَفَاهُ مُهْجَةً شَرُّ الْخَلْقِ إِنْسَانًا
 أَمْسَى عَشِيَّةً غَشَّاهُ بِضَرْبَتِهِ
 مَا جَنَاهُ مِنَ الْأَثَامِ عَزِيزًا^(٤)

جـ خصائص شعره:

يرى أن جماعة من الشعراء بينهم الأخطل اجتمعوا
 عند عبد الملك بن مروان، فقال لهم: أبقيني أحد أشعر
 منكم؟ قالوا: لا. فقال الأخطل كذبوا يا أمير المؤمنين، قد
 بقي من هو أشعر منهم، قال: من هو؟ قال: عمران بن
 حطان. قال: وكيف؟ قال: لأنه قال وهو صادق ففاقهم،
 فكيف لو كذب كما كذبوا؟ .

(١) رضوان: رضى.

(٢) البرية: الدنيا - الميزان: هو ميزان الحسنات والسيئات.

(٣) البغي: الظلم.

(٤) غشاه: ضربه.

ويقول الفرزدق: لقد أحسنَ بنا عمرانُ حيث لم يأخذُ فيما أخذنا فيه، لو أخذَ فيما أخذنا فيه لاستقطنا، يعني لجودة شعره وجدة عاطفته^(١).

واختص عمران في تغيير الفاظه دون اغраб أو تعقيد، لذلك جاءت عباراته جزلة في نسق ، لا التواء فيه ولا وقوع في تقديم أو تأخير.

ثم إن هناك ميزة أسلوبية أخرى في شعره وهي الموسيقى اللفظية الجميلة ، التي قلما رأيناها لدى سواه من شعراء المذاهب الدينية إلا مع العباسين ، وخاصة في قصيدة التي يرثي بها أبا بلال ، مرداس بن أدية ، والتي تصلح أن تُغنى يقول :

يا عين بكى لمرداسٍ ومصرعه
يا ربّ مرداسِ أجعلني كمرداسِ

٢ - الطرماح بن حكيم .

أ - حياته: جاء في الأغاني : « هو الطرماح بن حكيم بن الحكم ، ويُكنى أبا نفر ، وأبا ضبيبة . والطرماح : الطويل القامة . وقيل إنه يُلقب بالطيرماح .

من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم ، منشئه

(١) الأصبهاني - الأغاني ج ١٦ / ص: ١٥٥ .

الشام، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع مَنْ وَرَدَهَا من جيوش أهل الشام، واعتقد مذهب الشراة الأزارقة^(١).

ويضيف جرجي زيدان على ما قاله أبو الفرج: إنه من طيء، وإنه توفي عام مئة للهجرة^(٢). أما شوقي ضيف فيقول عنه: «إنه شاعر نشأ في الشام وانتقل إلى الكوفة مع جيش الشام. نزل في بني تيم اللات بن ثعلبة، وكان فيهم شيخ من الخوارج له سُمِّت وفيه وقار، فكان الطرماح يُجالسه ويسمع منه، فرسخ كلامه في قلبه، ودعاه الشيخ إلى مذهبه فقبله واعتقده أشد اعتقاد وأصححة حتى مات عليه».

اختلف الناس في انتمامه، فقال أبو الفرج انه دخل في فرقة الأزارقة، وقال الجاحظ: هو من الصفرية، وقول الجاحظ هو الصحيح لأنَّه كان من القعدة، ولو كان من الأزارقة ما استحلَّ القعود، وهو صوري مسالم ولم يكن يكفر المسلمين بل كان يعاشرهم ويوادهم ويصادقهم، حتى لنراه يعقد صداقة شديدة بينه وبين الكميت، (شاعر الشيعة).

مات الطرماح حوالي ١٠٥ هـ^(٣).

من كل هذه الأقوال، لا نعرف متى ولد الطرماح على

(١) الأغاني - الجزء العاشر (ص: ١٥٦).

(٢) جرجي زيدان: تاريخ أداب اللغة العربية ج ١٠ ص: ٢٧٥.

(٣) شوقي ضيف: العصر الإسلامي (ص: ٣١١) و(١٠٥).

ووجه الدقة، وحتى نشأته مختلف في موقعها: فالبعض يقول إنها كانت الشام، والبعض يقول معارضًا إنها كانت «بالسوداد» في الكوفة، ولا نعرف أين ومتى كانت وفاته وإنما يرجع أنها بين عامي مئة وستة ومئة وتسعة للهجرة^(١).

كذلك فإن مذهبه غير متفق عليه كما يتضح، إذ أنه كان من القعدة وهو مع ذلك يقول كما يروى:

فوارسٌ من شَيْبَانَ الْفَ بَنِيهِمْ
تَقُولُ اللَّهُ نَرَأُ الْوَنْ عَنْدَ التَّرَاحُفِ
هُمْ مَنْعُوا النُّعْمَانَ يَوْمَ رُؤْيَا

مِنَ الْمَاءِ فِي نَجْمٍ مِنَ الْقَبِظِ حَافِ

وهكذا فإن هذين البيتين إما أن يكونا قد أضيفا إلى الشاعر، وإما أنهما قيلا في فترة سابقة على انتماهه للغوارج الصفرية.

عمل في شبابه معلماً للغة، فبرز في مهنته، وصادق «الكميت» الذي كان يقوم بنفس المهنة، ويروي الأصبهاني عن صداقتهما فيقول: «وَفَدَ الطرماح بن حكيم» و«الكميت بن زيد» على «مخلد بن يزيد المهلبي»، فجلس لهما ودعاهما، فتقدم الطرماح لينشد، فقال له: أَنْشَدْنَا فائماً. فقال: كلا، والله ما قَدَرُ الشِّعْرُ أَنْ أَقُومَ لَهُ فِي حُطَّ من مقامي،

(١) سهير قلماوي: أدب الغوارج (ص ٩٥ - ١٠٧).

وأحط منه بضراعتي^(١)، وهو عمود الفخر وبيت الذكر لتأثير العرب، فقيل له: فتنع . ودعي بالكميت فأنشد قائماً، فأمر له بخمسين ألف درهم. فلما خرج الكميـت شاطرها^(٢) الطـرماـح وقال له: أنت أبا ضبية أبـعـدـ هـمـةـ، وأـنـاـ الـطـفـ حـيـلـةـ^(٣).

ويروى عنـهـماـ فيـ مـكـانـ آخرـ قالـ: «قـالـ مـحـمـدـ بـنـ سـهـلـ، رـاوـيـةـ الـكـمـيـتـ: أـنـشـدـتـ الـكـمـيـتـ قـوـلـ الـطـرـماـحـ:

إذا قـبـضـتـ نـفـسـ السـطـرـمـاحـ أـخـلـقـتـ
عـرـاـ المـجـدـ وـاشـتـرـخـ عـنـانـ القـصـائـدـ

قالـ الـكـمـيـتـ: أـيـ وـالـلـهـ، وـعـنـانـ الـخـطـابـةـ وـالـرـوـاـيـةـ.

وقـيلـ لـهـمـاـ يـوـمـاـ: فـيـمـ اـتـفـقـتـمـاـ هـذـاـ الـإـتـفـاقـ مـعـ اـخـتـلـافـ
سـائـرـ الـأـهـرـاءـ؟ـ قـالـاـ: اـتـفـقـنـاـ عـلـىـ بـعـضـ الـعـامـةـ^(٤).

بـ - نـمـاذـجـ مـنـ شـعـرـهـ:

نموذج أول:

مـرـ الـطـرـماـحـ بـنـ حـكـيـمـ فـيـ مـسـجـدـ الـبـصـرـةـ وـهـوـ يـخـطـرـ فـيـ
مـشـيـتـهـ، فـقـالـ الرـجـلـ: مـنـ هـذـاـ الـخـطـارـ؟ـ فـسـمـعـهـ، فـقـالـ: أـنـاـ
الـذـيـ أـقـولـ:

(١) الضـرـاعـةـ: التـضـرـعـ، طـلـبـ الـحـاجـةـ بـشـيـءـ مـنـ الدـلـ.

(٢) شـاطـرـهاـ: فـاسـمـهاـ.

(٣) الـأـغـانـيـ - جـ ١٠ (صـ ١٥٧ـ).

(٤) الـأـغـانـيـ جـ ١٧ (صـ ٢ـ).

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي
 بَغَيْضٌ إِلَى كُلِّ امْرَىءٍ غَيْرِ طَائِلٍ^(١)
 وَأَنِّي شَقِّيٌّ بِاللَّئَامِ وَلَا تَرِى
 شَقِّيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمُ الشَّمَائِلِ^(٢)
 إِذَا مَا رَأَى قَطْعَ الْلَّهُظَّةِ بَيْنَهُ
 وَبَيْنِي فَعْلَ الْعَارِفِ الْمُتَجَاهِلِ^(٣)
 مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّىٰ كَانَهَا
 مِنَ الْضَّيقِ فِي عَيْنِيهِ كَفَّةٌ حَابِلٌ^(٤)

نموذج ثانٍ:

قال يمدح الخوارج:

اللَّهُ ذَرَّ السُّرَّاَةَ إِنَّهُمْ
 إِذَا الْكَرِي مَا لَبَالُطْلَا أَرْقُوا^(٥)

(١) غير طائل: خسيس - دون.

(٢) شقي: من شقي، شقاء فهو شقي أي تعيس، حزين. والشمائل: الصفات الحميدة.

(٣) قطع اللهظة: أي أزاح عينيه عن برارته. والتجاهل: الذي يتصنّع الجهل.

(٤) كفة حابل: مصيده.

(٥) الكري: النعاس - الطلا أو الطلى: مطلية: الأعناق - أرقوا: طردوا النعاس.

يُرْجِعُونَ الْحَنِينَ آوَيْ
 وَإِنْ عَلَا سَاعَةٌ بِهِمْ شَهْقُوا^(١)
 خَوْفًا تَبِتُّ الْقُلُوبُ وَاجْفَةً
 تَكَادُ عَنْهَا الصُّدُورُ تَنْفِلُقُ^(٢)
 كَيْفَ أَرْجِيَ الْحَيَاةَ بَعْدَهُمْ
 وَقَدْ قَضَى مُؤْنِسِيَ فَانْظَلَقُوا^(٣)
 قَوْمٌ شَحَّاجُ عَلَى اعْتِقَادِهِمْ
 بِالْفَوزِ مَا يُخَافُ قَدْ وَثَقُوا^(٤)

نموذج ثالث:

يرسم طريق خلاصه:
 لَقْدْ شَقِيتْ شَقَاءَ لَا انْقِطَاعَ لَهُ
 إِنْ لَمْ أَفْرَزْ فَرْزَةً تُنْجِي مِنَ النَّارِ
 وَالنَّارُ لَمْ يُنْجِي مِنْ رَوْعَاتِهَا أَحَدٌ
 إِلَّا الْمَنِيبُ يَقْلِبُ الْمُخْلِصِ الشَّارِي^(٥)

(١) يُرْجِعُونَ: يقولون إنَّا لِهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ - شَهْقُوا: رددوا البكاء في صدورهم.

(٢) وَاجْفَةً: خافتة. تَنْفِلُقُ: تَشَقَّقَ.

(٣) أَرْجِيَ: أَمَلُ - مُؤْنِسِيَ: مصدر أنسى وسعادتي.

(٤) شَحَّاجُ: بخلاء - اعْتِقَادُهُمْ: إيمانهم - والمعنى أنهم متمسكون بمبدئهم، وانقرون من الفوز بالجهة.

(٥) رَوْعَاتِهَا: مخاوفها - وَالْمَنِيبُ: المطر الغزير، والمعنى أن الشاري =

أو الذي سَبَقْتُ مِنْ قَبْلِ مَوْلِدِهِ
لَهُ السَّعَادَةُ مِنْ خَلَاتِهَا الْبَارِي

نموذج رابع :

طموحات الفارس الخارجي :
وَإِنِّي لِمُقتَادٍ جَوَادِيْ وَقَادِفٌ
بِهِ وَبِنَفْسِي الْعَامِ إِحْدَى الْمَقَادِيفِ^(١)
لَا كُسْبٌ مَالًا أَوْ أَوْلَى إِلَى غَنَى
مَنْ اللَّهُ يَكْفِينِي بِعِدَاتِ الْخَلَائِقِ^(٢)
إِذَا الْعَرْشٌ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ
عَلَى شَرْجَعٍ يُعْلَى بِخُضْرِ الْمَطَارِفِ^(٣)
وَلَكِنْ أَجْسَنْ يَوْمِي سَعِيدًا بِعُصْبَةِ
يُصَابُونَ فِي فَجَّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفٍ^(٤)
فَأُقْتَلُ قَعْصًا ثُمَّ يُرْمَى بِأَعْظَمِي
كَضِيقَتِ الْخَلَا بَيْنَ الرِّيَاحِ الْغَوَاصِيفِ^(٥)

= المخلص هو وحده الناجي من النار لما في قلبه من دفق الإيمان بالله وغزارته.

(١) كنابة عن المخاطرة بالنفس.

(٢) العادات: جمع عِدَة، وهي ما يوعد به من صلة - الخلاف: جمع خليفة.

(٣) إذا العرش: يا إذا العرش - شرجع: نعش - المطروف: قماش من خز.

(٤) فَجَّ خَائِفٌ: طريق وعرة، مخيفة.

(٥) قَعْصًا: في مكاني - ضفت الخلا: قبضة حشيش لم تجف بعد.

وَيُصْبِحُ لَعْمِي بَيْنَ طَيْرٍ مَّقْبِلَةٍ
 دُوَيْنَ السَّمَاءِ فِي نُسُورٍ عَوَاكِفٍ^(١)
 فَوَارَسُ مِنْ شَيْئَانَ وَهُدَى بَيْنَهُمْ
 تُقْنَى اللَّهُ نَرَالسُونَ عِنْدَ التَّرَاحِفِ^(٢)
 إِذَا فَارَقُوا دُنْيَا هُمْ فَارَقُوا الْأَذَى
 وَصَارُوا إِلَى مِيعَادٍ مَا فِي الْمَصَاحِفِ^(٣)

جـ - خصائص شعره:

الطِّرْمَاح هو الوحيد بين شعراء الخوارج الذي له ديوان باسمه، وقد اتخذ له جامعه - كرنكو، نشره في لندن ١٩٢٧ - عنواناً هذا البيت الذي يعبر به الشاعر عن مدى إيمانه بنفسه ومدى تعظيمه لها:

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الْطِّرْمَاحِ أَخْلَقَتْ
 عَرَى الْمَجِدِ وَاسْتَرْخَى عِنَانُ الْقَصَانِدِ^(٤)
 يدور القسم الأكبر من ديوانه حول الوصف وموضوعات أخرى تقليديه ذات مؤثرات جاهلية، ولم يذكر الخوارج فيه إلا بمقطوعتين.

(١) مَقْبِلَة: مَيْتَه.

(٢) التَّرَاحِف: زَخْفُ الْجَيْشَيْنِ أَحْدَهُمَا صَوبُ الْآخْرِ.

(٣) أي أن ليس لديهم ما يخسرون سوى الألم، وإذا حسروه يربخون وبعد الله.

(٤) قُبِضَتْ نَفْسَه: مات. أَخْلَقَتْ: بَلَيْتْ - العَرَى: ما يُوقَّعُ به وَيُرَبَّطُ.

هجا القبائل وخاصة تميم وهجا الشعراة خاصة الفرزدق وافحش مرة في كلام عن أخت هذا الشاعر والهجاء كما هو معروف موضوع جاهلي وليس إسلامياً وهو وبالتالي لا ينسجم مع التزامه الخارجي ، لا بل يؤكد أن هذا الالتزام لم يكن متغلغاً في دم الشاعر ووجوده وأن علاقته بهذا الاتجاه ظلت رقيقة كضفت الخلا في مهب الريح ، كما يعبر مرأة عن رغبته بالاستشهاد.

ُعرف عن الطرماح شهرته باستعمال الغريب في شعره، وقد بالغ الرواة في وصف حرصه على جمع هذا النوع من الكلام ، فقال أحدهم إنه رأى الطرماح في سواد الكوفة يجمع الفاظ النبط ، فلما سأله عن السبب قال ، إنه يريد أن يعربها ويستعملها في شعره .

غير أن بعض الأقدمين رأياً آخر في شعره : يقول أبو الفرج الأصبهاني : «كان أبو عبيدة والأصممي يفضلان الطرماح في هذين البيتين ، ويزعمان أنه فيهما أشعر الخلق »:

مجتابٌ حلةٌ بُرْجِدٌ لسراطِه
قدَّادَا واخْلَفَ ما سواهُ الْبُرْجِدُ^(١)

(١) مجتاب: لابس - حلة: ثوب - البرجد: اللون الأحمر - السراط: الظهر .
القد: القطع - والمعنى: يصف هنا ثوراً وحشياً بأنَّ لونه أحمر ومصورة في البيت الثاني سرعنده ورشاقته كسيف يُسلَّ وينغمَد بعزم .

يبدو وَتُضْمِرُهُ الْبَلَادُ كَائِنَةُ
سَيْفٌ عَلَى شَرْفٍ يُسَلِّمُ وَيُغْمِدُ

٣ - قطرى بن الفجاءة :

أ - حياته :

يقول البلاذري في فتوح البلدان «ان قطرياً قدم إلى سجستان في الفترة ما بين عامي ٤٢ و٤٤ هـ» وما عدا ذلك لا تذكر كتب التاريخ شيئاً عن سيرته حتى توليه أمر الأزارقة.

وقطري من مازن، من تميم، إحدى قبائل مصر التي كانت تسكن آنذاك شواطئ الخليج الفارسي من الدولة الإسلامية - البصرة والبحرين وما جاورهما - وتروي إحدى الروايات أن اسمه كان باسم منطقة هناك لعلها قطر الحالية.

في عام ثمانية وستين أو تسعه وستين، تولى قطرى أمر الخوارج الأزارقة بعد نافع، وذلك لمكانته الحربية وجهاده الديني ، وتولى العراق في تلك الفترة مصعب بن الزبير، ثم الحجاج بن يوسف، اللذان قاسيا من خطره وقوته كثيراً.

ويعتبر قطرى آخر رؤساء الخوارج الأقوياء، كان خطيباً وفارساً، يتمتع بصفات السيد، ويسلم عليه بالخلافة، لقبه أمير المؤمنين، كما كان يُكنى مثل رؤساء الخوارج، فعرف بأبي نعامة في السلم، وبأبي محمد وقت الحرب.

نظم صفوف الخوارج بعد هزائمهم المتالية، وجعل سابور من أرض فارس، دار هجرة لهم حتى كثر أتباعه فيها. وكان المهلب في كلا الحالين - زمن مصعب والحجاج - يحارب الخوارج وقد ضاق ذرعاً بهم، فلجأ إلى الحيلة والدسية، واستطاع أن يقسم أتباع قطري إلى قسمين: قسم ظل معه، وقسم التحق بعبد ربه الصغير، وأصطدم الفريقان الخارجييان فضعفاً، والمهلب يتظاهرهما متربصاً.

في عام سبعة وسبعين أو ثمانية وسبعين للهجرة، قتل قطري، فأخذ رأسه إلى الحجاج الذي أرسله بدوره إلى عبد الملك بن مروان.

ب - نماذج من شعره:

نموذج أول:

قال يستحث أحد إخوانه على الخروج (وهو أبو خالد القتاني). .

أبا خالد يا انجُرْ فلست بخالد
وما ترك الرحمن عذراً لقاعدٍ^(١)

(١) انجُرْ: فعل أمر من نفر، بمعنى انتصر. - القاعد: ضد الخارج إلى الحرب.

أَتَرْعَمُ أَنَّ الْخَارِجِيَّ عَلَى الْهُدَىٰ
وَأَنْتَ مُقِيمٌ بَيْنَ لِصْ وَجَاجِدٍ^(١)
وَقَالَ يَحْرَضُ «سَبْرَةُ بْنُ جَعْدَةَ» عَلَى التَّوْبَةِ وَالْخَرْوَجِ :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلٌ
وَلَا بُدُّ مِنْ بَعْثِ الْأَلَىٰ فِي الْمَقَابِرِ^(٢)
حُفَاءٌ، عُرَاءٌ، وَالثَّوَابُ لِرَبِّهِمْ
فَمَنْ بَيْنَ ذِي رَبِيعٍ وَآخَرَ خَاسِرٍ^(٣)
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ نَلَتْ يَغْنِي وَإِنَّمَا
حَيَاكُ فِي الدُّنْيَا كَوْقَعَةً طَائِرٍ^(٤)
فَرَاجِعٌ أَبَا جَعْدٍ وَلَا شَكَّ مُغْضِيًّا
عَلَى ظُلْمَةٍ أَغْشَتْ جَمِيعَ النَّوَاطِرِ^(٥)
وَتُبَّ تَوْبَةً تُهَدِّي إِلَيْكَ شَهَادَةً
فَإِنَّكَ ذُو ذَنْبٍ وَلَسْتَ بِكَافِرٍ^(٦)

(١) جاجِد: مُنْكِرُ الْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ.

(٢) الْأَلَىٰ: الَّذِينَ. وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَوْتَ مُحْتَمٌ عَلَى النَّاسِ وَكَذَلِكَ الْبَعْثُ.

(٣) يَذَكُرُهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ الْحِسَابِ الْفَانِمُ عَلَى الرَّبِيعِ وَالْخَسَارَةِ.

(٤) كَوْقَعَةُ طَائِرٍ: أي سرعة الزوال، لَأَنَّ الطَّائِرَ سَرِيعُ التَّنَقُّلِ وَلَا يَثْبُتُ فِي المَكَانِ.

(٥) مُغْضِيًّا: مَغْمِضًا عَيْنِيهِ - أَغْشَتْ: مَنَعَ الرَّؤْيَا بِسَبِّ الظُّلْمَةِ.

(٦) فِي هَذَا الْبَيْتِ قَطْرِيُّ بَعْضِ تَفَاصِيلِ الْمَبْدَا الْخَارِجِيِّ، إِذْ بَعْدَ أَنَّ الْإِنْتِهَا مِنْ عَمَلِيَّةِ الْوَعْظِ وَالْإِنْشادِ النِّيَ استَغْرَقَتِ الْأَبْيَاتُ الْأَرْبَعَةُ الْأُولَىٰ، نَرَاهُ هَنَا =

وَسِرْ نَحْوَنَا تَلَقَّ الْجِهَادَ غَنِيمَةً
 تُفْدِكَ ابْتِياعًا رَابِحًا غَيْرَ خَاسِرٍ
 هِيَ الْغَايَةُ الْقُصُوى الرَّغِيبُ ثَوَابُهَا
 إِذَا نَالَ فِي الدُّنْيَا الْغَنِىٌ كُلُّ تَاجِرٍ^(١)

نموذج ثانٍ:

يصف قطري معركة «يوم دولاب» أهم معاركهم، وقد
 قُتل فيها قائد الخوارج، نافع بن الأزرق، وقائد الجيش
 الأموي، ابن عُبيس بن كُرير، يقول قطري:

لَعْمَرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ
 وَفِي الْعِيشِ مَا لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكِيمٍ^(٢)
 مِنَ الْخِفْرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرَرِّ مِثْلُهَا
 شِفَاءٌ لِذِي بَثٍ وَلَا سَقْيٌ^(٣)

= ينتقل إلى تحديد الفرق بين الكافر وبين المذنب؟ فالكافر هو الإنسان غير الخارجي، الذي خرج على الدين بارتکاب الكبائر من المحرمات؟ أما المذنب فهو المتقاعس أو القاعد عن jihad بالسلاح، ونحن نعلم أن هذه المشكلة كانت في صلب الخلافات الناشئة فيما بعد بين المتكلمين وفرقهم من المعتزلة والأشعرية وسوى ذلك.

(١) يعود هنا إلى المعنى الذي أشار إليه في البيت الثاني حيث يعتبر المالة هي الفرق في التبيجة بين الربح والخسارة في هذه التجارة.

(٢) زاهد: راغب عن الدنيا حباً للأخرة. أم حكيم: إحدى الخارجيات البطلات.

(٣) الخفرات: الخجولات - بث: شدة الحزن - السقيم: العريض.

لعمرُكِ إني، يومَ الْطِّمُ وجهها
 على نائباتِ الدهرِ، جدُّ ليٰم^(١)
 ولَوْ شَهِدْتُني يومَ دولاَبْ أَبْصَرْتُ
 طِعَانَ فتىً في الحربِ غَيْرَ ذَمِيم^(٢)
 غَدَةَ طَفَقْتُ عَلِمَاءَ بَكَرِّ بْنِ وَائِلَ
 وَعَجَنَا صِدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيم^(٣)
 وَكَانَ لَعْبِ الْقَيْسِ أَوْلُ جَدَّهَا
 وَأَخْلَافِهَا مِنْ يَخْصُبْ وَسَلِيم^(٤)
 فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مُغَصَّاً
 يَمْجُعُ دَمَاً مِنْ فَائِظِ وَكَلِيم^(٥)
 وَضَارِبَةَ خَدَا كَرِيمَا عَلَى فتىً
 أَغْرَى نَجِيبَ الْأَمَهَاتِ كَرِيم^(٦)
 أَصَبَّ بِدُولَابْ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنَا
 لَهُ أَرْضُ دُولَابْ وَذِيرِ حَمِيم^(٧)

(١) الْطِّمُ: اضرب نائبات الدهر: مصاببه.

(٢) طِعَان: مطاعنة، ضرب بالرمح - ذَمِيم: مذموم.

(٣) عَلِمَاء: أي على الماء - عَجَنَا: أملنا، وجئنا.

(٤) جَدَّ: حظ - أَخْلَافِهَا: حلفاؤها - يَمْجُع: يشرب - فَائِظ: :

(٥) مُغَصَّاً: مضروباً بالسيف - فَائِظ أو فائض: ميت - كَلِيم: جريح.

(٦) أَغْرَى: شريف الفعال - نَجِيب: فاضل.

(٧) يتحدث الشاعر هنا عن «نافع» الذي قتل في هذه الأرض وهي ليست

أرضه وإنما هو مهاجر إليها للدفاع عن مبدئه.

فَلَوْ شَهِدْنَا يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
 تُبَيِّحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلَّ حَرَبٍ
 رَأَتْ فِتْيَةً بَاعُسَا إِلَهَ نُفُوسَهُمْ
 بِجَنَّاتٍ عَذْنٍ عَنْهُ وَنَعِيمٍ
 نِمُوذِجٌ ثالثٌ:

قال ينادي نفسه، متوجهاً للحرب:
 أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا
 مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَحْكِ لَنْ تُرَاعِي^(١)
 فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ
 عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَنْ تُطَاعِي^(٢)
 فَصَبَرْأَا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبَرْأَا
 فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطِاعٍ.
 وَلَا ثُوبٌ الْبَقَاءِ بِشُوبٍ عَزْ

فَيُطْوِي عن أخي الخَنْعَ الْبَرَاعِ^(٣)

= تعليق: يقول الطبرى صاحب الكامل في اللغة والأدب في تعليقه على القصيدة:

«وهذا من أصدق الشعر العربى قاطبة من حيث العاطفة وفيض النفس العاشقة البطلة».

(١) طارت شعاعاً: خافت - لن تراعى: لن تخافي.

(٢) مستوحى من الآية الكريمة: «يَوْمَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْخِرُونَ».

(٣) الخَنْعَ: الذَّلَّ - الْبَرَاعِ: الْفَسِيفِ. أي أن الموت لا يستثنى الذليل الْفَسِيفِ.

سِيَلُ الْمَوْتِ غَايَةٌ كُلُّ حَيٍّ
 فَدَاعِيهِ لَأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعٍ
 وَمَنْ لَا يَغْتَبِطُ بِسَاءَمٍ وَنَهَرَمٍ
 وَتُسْلِمُهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعٍ^(١)
 وَمَا لِلْمَرءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
 إِذَا مَا عُذِّلَ مِنْ سِقْطِ الْمَتَاعِ^(٢)

نموذج رابع :

من كتبه : كتب إلى الحجاج بن يوسف ردًا على كتاب
 وصله منه :

«..... ذكرت في كتابك أنني كنت بذؤياً
 أستطعيم الكسرة^(٣) وأحسن إلى التمرة، والله لقد قلت زوراً،
 بل الله يصرني من دينه ما أعمالك عنه، إذ أنت سائع في
 الصلاة، غرق في غمرات الكفر أما والله
 لئن أبرز الله لي صفحتك^(٤)، وأظهر لي صلعتك، لتنكرنَّ
 شعبك ولتعلمنَّ أن مقارعة الأبطال ليس كتسطير الأمثال^(٥).

(١) لا يغبط: لا يُخرج - المعنون: المنايا، الموت.

(٢) سقط المتعاع: ما لا قيمة له.

(٣) استطعم الكسرة: أنسول القطعة الصغيرة من الخبز.

(٤) صفحتك: وجهك.

(٥) أي أن الكلام سهل بعكس الفعل وهو الحرب هنا.

جـ: خصائص شعره:

أمتاز قطري عن سواه من أدباء الخوارج بأنه كان يتقن استعمال السلاح، ولذا جاءت كتاباته أكثر صدقًا وأشد لصوقاً بما يعتمل في نفسه من مشاعر وأحاسيس.

وهو يتميز بمتانة لغته وقوه تعبيره المستمدرين من ثقافته الإسلامية وحفظه وتمثله لأيات القرآن حتى أنا نجد في كثير من الأحيان يصوغ هذه الآيات شعراً جميلاً محباً.

ولم يتطرق قطري إلى موضوعات غير إسلامية خارجية، ولذا ظلت معانيه متكتلة على ما في مخزونه الفكري من قناعات دينية راسخة، وهو في غزله الذي نلحظه في بداية قصيده بيوم دولاب ظل ضمن هذه المعطيات ولم يخرج عنها، حيث أن الحبوبة ليست سوى رفيقة جهاد وعشيرة الام والحزان، وطموحه كان أن ترى شدة طعانه وفروسيته في مجادلة الأعداء بالسيف وتلمس شجاعته في ساحة الوغى.

كما أن البيت الأخير من قصيده التي ينادي بها نفسه والذي يقول فيه:

وَمَا لِلْمُرِئِ خَيْرٌ فِي حَيَاةِ
إِذَا مَا أَعْدَّ مِنْ سِقْطِ الْمَتَاعِ

سيتناوله المتنبي فيما بعد ليقول:

عِنْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ
بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفْقِ الْبُنُودِ^(١)

٤ - الرهين المرادي :

كان من الخوارج الذين لا يرون القعود، ويقول الطبرى
عنه «انه كسان في الدهاء والشعر والفقه - بقول
الخوارج - بمنزلة عمران بن حطان».

قال المرادي :

يَا نَفْسُّ قَدْ طَالَ فِي الدُّنْيَا مُرَاوَغَتِي
لَا تَأْمَنَّ لِصَرْفِ الدَّهْرِ تَنْغِيَصًا^(٢)
إِنِّي لَبَائِعٌ مَا يَفْنِي لِبَاقِيَةَ
إِذْ لَمْ يُعْقِنِي رَجَاءُ الْعِيشِ تَرْبِيَصًا^(٣)
وَأَسْأَلُ اللَّهَ بَيْعَ النَّفْسِ مُحْتَسِبًا
حَتَّى أُلَاقِي فِي الْفَرْدُوسِ حُرْقُوصًا^(٤)

(١) القنا: الرمع، البنود: الرايات، الأعلام الكبيرة.

(٢) المراوغة: المخادعة - لصرف الدهر: مصائب الدهر - التنغيص:
التعكير.

(٣) ما يفني: أي الدنيوي، الذي يزول - الباقيه: الآخرة - تربيساً: يعني أن
أكون متربصاً أي متضرراً لرجاء العيش فتغيرني الحياة الدنيا.

(٤) محتسباً: أي مكتفياً برجمته، كفولنا: وحسب الله ونعم الوكيل. -
حرقوص: هو أحد الخوارج من أصحابه.

وأَبْنَ الْمَنْجِعِ وَمِرْدَاسًا وَإِخْرَجَةً
إِذْ فَارَقُوا زَهْرَةَ الدُّنْيَا مَخَامِيْصاً^(١)

٥ - عِيسَى بْنُ فَاتِكَ الْحَبْطِيَ :

خَارِجِيٌّ مِنْ بَنِي تَمِ الْلَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

قَالَ يَرْثِي بَعْضُ قَتْلَاهُمْ :

أَلَا فِي اللهِ لَا فِي النَّاسِ شَالتُ

بِداوِدِ وَإِخْرَجِيَّهِ الْجُذُوعُ^(٢)

مَضَوا قُتْلًا وَتَمْزِيقًا وَصَلْبًا

تَحْوُمُ عَلَيْهِمْ طَيْرٌ وَقُسُوعٌ^(٣)

إِذَا مَا السَّلِيلُ أَظْلَمُ كَابِدُوهُ

فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ^(٤)

أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا

وَأَهْلُ الْآمِنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ^(٥)

(١) ابن المنجع ومرداس وآخرته: من أصحابه الخوارج - فارقوا زهرة الدنيا: أي فارقوها وهي عمر الزهور - مخاميص: ضامروا البطون، جائعون، وذلك للتدليل على زهدهم بالحياة وبعدهم عن ترفها.

(٢) أو ابن عاتك الحطبي.

(٣) شالت: رفعت - الجذوع: م، جذع، الجزء من الشجرة بين الأرض والأغصان.

(٤) طير وقوع: نازل على شجر أو أرض.

(٥) كابدوه: قاسوه وتحملوا المثاق في فعله - اسفر: أضاء.

(٦) هجوع: نيا.

قال يصف معركة «بأسك» انتصر فيها الخوارج :

فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَلُوْا وَقَامُوا
إِلَى الْجُرْدِ الْعِتَاقِ مُسَوِّمِينَا^(١)
فَلَمَّا اسْتَجْمَعُوا حَمَلُوا عَلَيْهِمْ
فَضَلَّ ذُوو الْجَعَائِلِ يُقْتَلُونَ^(٢)
بِقِيَّةٍ يَوْمِهِمْ حَتَّى أَتَاهُمْ
سَوَادُ اللَّيلِ فِيهِ يُرَاوِغُونَا^(٣)
يَقُولُ بَصِيرَهُمْ لِمَا أَتَاهُمْ
بِأَنَّ الْقَوْمَ وَلُوا هَارِبِينَا
أَلْفًا مُؤْمِنِينَ فِيمَا زَعْمَتُمْ
وَيَهْزِمُهُمْ بَاسِكَ أَرْبَاعُونَا^(٤)
كَذِبْتُمْ لِيَسْ ذَاكَ كَمَا زَعْمَتُمْ
وَلَكُنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَا
هُمُ الْفِتْنَةُ الْقَلِيلَةُ غَيْرَ شَكْ
عَلَى الْفِتْنَةِ الْكَثِيرَةِ يُنَصَّرُونَا^(٥)

(١) الجُرْدِ الْعِتَاقِ: الْخَيْلُ الْأَصْبَلَةِ - المُسَوِّمِينَا: م، المسوّم: الحسن الخلق.

(٢) الْجَعَائِلِ: م: الْجَعِيلَةِ، الْجَعَالَةِ: أَجْرَهُ الْعَالِمُ، أَوِ الرَّشْوَةِ.

(٣) يُرَاوِغُونَا: يَخَادِعُونَا.

(٤) بَاسِك: اسْمَ مَنْطَقَةٍ، جَرَتْ فِيهَا مَعرِكَةٌ بَيْنَ الْخَوَارِجَ وَالْأَمْرِيَّينَ.

(٥) هَذَا الْبَيْتُ إِشَارَةٌ وَاضْحَى إِلَى يَوْمِهِ تَعَالَى: «كُنْمَنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» سُورَةُ الْبَقْرَةِ آيَةُ (٢٤٩).

٦ - يَزِيدُ بْنُ حَبْنَاءَ: مِنَ الْخُوارِجِ الْأَزَارِقَةِ.

لَامَتْهُ امْرَأَةٌ، إِسْمُهَا «أُمُّ عَاصِمٍ» تَحْبِهُ، لِعَدَمِ تَقْدِيمِهِ
هَدِيَّةً لَهَا، فَقَالَ:

دَعَى اللَّوْمَ إِنَّ الْعَيْشَ لَيْسَ بَدِائِمٍ
وَلَا تَعْجَلْنِي بِاللَّوْمِ يَا أُمَّ عَاصِمٍ^(١)
فَإِذْ عَجَلْتُ مِنْكِ الْمَلَامَةَ فَاسْمَعِي
مَقَالَةَ مَعْنَى بِحَفْكِ عَالِمٍ^(٢)
وَلَا تَغْذِلْنَا فِي الْهَدِيَّةِ إِنَّمَا
تَكُونُ الْهَدَايَا مِنْ فُضُولِ الْمَغَانِمِ^(٣)
فَلَيْسَ بِمُهَدِّدٍ مَنْ يَكْسُونُ نَهَارَهُ
جَلَادًا وَيُمْسِي لَيْلَهُ غَيْرَ نَائِمٍ^(٤)
يُرِيدُ ثَوَابَ اللَّهِ يَوْمًا بِطَعْنَةٍ
غَمْوُسٌ كَشِدْقِ الْعَنْبَرِيِّ بْنِ سَالِمٍ^(٥)

(١) دَعَى: اتَّرَكَ.

(٢) مَقَالَة: حَدِيثٌ - مَعْنَى: مَسْؤُلٌ.

(٣) لَا تَغْذِلْنَا: لَا تَلْوِمِنَا - فُضُولُ الْمَغَانِمِ: مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ الْمُقَاتِلُ مِنْ أَرْضِ
الْمَعرَكَةِ.

(٤) جَلَادًا: مَبَارِزَةٌ - غَيْرَ نَائِمٍ: قَائِمٌ يَتَعَبَّدُ فِي اللَّيلِ.

(٥) غَمْوُسٌ: وَاسِعَةٌ - الْعَنْبَرِيُّ بْنُ سَالِمٍ: رَجُلٌ خَارِجِيٌّ كَانَ أَشْدَقُ.

أَبِيْتُ وَسِرْبَالِيْ دَلَاصْ حَصِينَةُ
 وَمِغْفِرُهَا وَالسَّيْفُ فَوْقَ الْحَيَازِمِ^(١)
 حَلَفْتُ بِرَبِّ الْوَاقِفِينَ عَشِيَّةً
 لَذِي عَرَفَاتٍ حَلْفَةُ غَيْرِ آثِيمِ^(٢)
 لَقَدْ كَانَ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ لَقِيتُهُمْ
 إِسَابُورَ شُغْلٌ عَنْ بُرُوزِ الْلَّطَائِمِ^(٣)
 تَوَقَّدُ فِي أَيْدِيهِمْ زَاعِيَةً
 وَمُرْهَفَةً تُفْرِي شُؤُونَ الْجَمَاجِمِ^(٤)

٧ - ليلى بنت طريف:

هي أخت الوليد بن طريف، وكان رأساً من رؤوس
 الخوارج.

(١) أبيت: أنام - سربالي: قميصي - دلاص: درع لين - حصينة: محضنة - مغفرها: زردها يلبس تحت القلنسوة - الحيازم: م، العيزوم: وسط الصدر.

(٢) الواقفين لدى عرفات: المؤمنين بالله وهم في الحجّ. - آثيم، ماثوم.

(٣) سابور: اسم المكان الذي جرت فيه المعركة مع الأمويين - اللطائم: م، لطيمة: وهي الإبل التي تحمل البُرْز والمعطر.

(٤) تَوَقَّدُ: أي تَنْقُدُ، حذفت الناء لضرورة الشعر ومعناها: تلمع - زاعية: نسبة إلى زاعب، رجل خزرجي يصنع الرماح - تُفْرِي: تَنْقُدُ - مرهفة: كتابة عن السيف.

قالت ليلى ترثيه بعد أن قتله يزيد بن مزيد:
«بَتلُ بَنَاتَا» رسم قبر كأنه
 على علم فوق الجبال منيف^(١)
 تضمن جودا حاتميا ونائلا
 وسورة مقدام قلب حصيف^(٢)
 ألا قائل الله الجثا حين أضمرت
 فتن كان بالمعروف غير عفيف^(٣)
 فإن يك أزداء يزيد بن مزيد
 فيما رب خيل فضها وصفوف^(٤)
 ألا يالقوم للنواب والردى
 ودهر ملجم بالكرام عنيف^(٥)
 وللبذر من بين الكواكب إذ هوى
 وللشمس همت بعده بكسوف^(٦)

(١) بتل بناتا: في مكان اسمه كذلك جرت فيه المعركة. رسم: اثر - منيف: عال.

(٢) تضمن: حوى - حاتميا: نسبة إلى حاتم الطائي - نائلا: معروفا - سورة: سطوة - مقدام: شجاع - قلب حصيف: الحصيف، الجيد الرأي.

(٣) الجثا: م، جثة، ما يتجمع من حجارة وتراب - أضمرت: خبات.

(٤) أزداء: رماه قتلا. - فضها: فرقها.

(٥) أيا لقوم للنواب: أي خلقوا للنواب وهي المصائب - الردى: الموت.

(٦) الكسوف: وقوع القمر بين الشمس والأرض؛ والخسوف: وقوع الأرض

بين القمر والشمس.

أيا شجر الخابور مالك مورقا
كأنك لم تحزن على ابن طريف^(١)
فتى لا يحب الزاد إلا من التقي
ولأ المال إلا من ثنا وسيوف^(٢)
ولأ الخيل إلا كل جرداء شطبة
وكل حصان باليدين غروف^(٣)
فلا تجزعا يا آبني طريف فإني
أرى الموت نزاً بكل شريف
فقدناك فقدان الربيع ولি�نا
قدناك من دهمائنا باللوف^(٤)

٨ - عمر بن ذكينة:

أحد الخوارج من عاصروا الخليفة عمر بن عبد العزيز.

قال في قصيدة موجهة إلى الخليفة:

قل للمولى على الإسلام مؤمنا
وقد يرى أنه رث القوى واه^(٥)

(١) الخابور: نوع من الشجر.

(٢) الثنا: الرماح.

(٣) جرداء: ملسم - شطبة: الطويلة العسنة الخلق.

(٤) الدهماء: الشديدة السوداء.

(٥) مؤمنا: مترفعا رث: بالـ، خلق - واه: ضعيف.

أَرْزَى بِهِ مَعْشَرُ غَذَوْهُ مَاكِلَةً
بِنَخْوَةِ الضُّرُّ وَالإِنْزَافِ وَالبَاهِ^(١)
إِنَّا شَرَّيْنَا بِدِينِ اللَّهِ أَنفُسَنَا
تَبَغِي بِذَلِكَ إِلَيْهِ أَغْظَمُ الْجَاهِ
تَنْهَى الْوُلَاةُ بِحَدِّ السَّيْفِ عَنْ سَرَفِ
كَفَى بِذَلِكَ لَهُمْ مِنْ زَاجِرٍ نَاهِ^(٢)
فَإِنْ قَصَدْتَ سَبِيلَ الْحَقِّ يَا عُمَرُ
آخَاكَ فِي اللَّهِ أَمْثَالِي وَأَشَبَاهِي
وَإِنْ لَحِقْتَ بِقَوْمٍ كُنْتَ وَاحِدَهُمْ
فِي جَوْرٍ سِيرَتْهُمْ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ^(٣)

٢ - نماذج نثرية :

١ - أبو حمزة الغارجي :

أ - حياته وسيرته :

هو المختار بن عوف الأزدي ثم السلمي من أهل البصرة، كان يوافي الناس في كل سنة إلى الحاج ويدعو إلى

(١) أَرْزَى بِهِ: عَابَةٌ - مَاكِلَةٌ: مَا أَكَلَ - نَخْوَةٌ: حِمَامَةٌ - الضُّرُّ: ضَدُ النُّفُعِ - الإنْزَافُ: السُّكُرُ.

(٢) سَرَفٌ: إِسْرَافٌ فِي الْخَطَا - زَاجِرٌ: مَانِعٌ، نَاهٌ.

(٣) جَوْرٌ: ظُلْمٌ - الْحُكْمُ لِلَّهِ: شَعَارُ الْخَوارِجِ الَّذِي قَالَ لَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْهُ: «كَلِمَةُ حَقٍّ أَرِيدُ بِهَا بَاطِلًا».

محاربة مروان بن محمد وآل مروان، ولم يزل يختلف كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى - الزعيم الخارجي ، الملقب بطالب الحق - وذلك سنة ثمان وعشرين ومئة .

قال عبد الله بن يحيى لأبي حمزة : يا رجل ، إني أسمع منك كلاماً حسناً ، وأراك تدعوا إلى حق ، فانطلق معـي ، فإني رجل مطاع في قومي ، فخرج به حيث ورد حضرموت ، فبايـعه أبو حمزة على الخلافة .

في العام الثاني أي تسعـة وعشرين ومئة ، خرج أبو حمزة إلى مكة بعدد من الخوارج تراوح بين السبع مئة والتسع مئة فارس ، واستولى عليها ثم استولى على المدينة .

استمر أميراً على مكة والمدينة لمدة سنة حيث هاجمهم جيش الأمويين وقتـل أبو حمزة وصلـب عام ثلاثـين ومئة وظل مصلـوباً حتى أفضـى الأمر إلى بـني العباس ، فأـنـزلـتـ خـشـبـتهـ وـدـفـنتـ^(١) .

ب - نموذج - خطبة أبي حمزة في أهل المدينة :

بعد استيلائه على المدينة ، صعد المنبر متوكلاً على قوس عربته ، وقال ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلـى على نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : يا أهل المدينة ، قد بلغـني مـقـالـتـكـمـ في أـصـحـابـيـ ،

(١) الأغاني ، أبو الفرج ، ج: ٢٣ ص: ٢٢٧ - ٢٥٦ . .

ولو لا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم لأحسنتُ أدبكم،
 ويحكم! إن رسول الله ﷺ أنزل عليه الكتاب، وبيّن له فيه
 السنن، وشرع له فيه الشرائع، وبيّن له فيه ما يأتي وما يذر^(١)،
 فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله، ولا يُعجم^(٢) إلا عن أمر الله،
 حتى قبضه الله إليه - ﷺ - وقد أدى الذي عليه، لم يدعكم
 من أمركم في شبهة، ثم قام من بعده أبو بكر، فأخذ بيته،
 وقاتل أهل الردة، وشمر في أمر الله، حتى قبضه الله إليه والأمة
 عنه راضون، رحمة الله عليه ومغفرته، ثم ولَيَّ بعده عمر،
 فأخذ بيته صاحبيه، وجند الاجناد، ومصر الامصار، وجيَّ
 الفيء، فقسمه بين أهله، وشمر عن ساقه، وحرس عن ذراعه،
 وضرب في الخمر ثمانين^(٣)، وقام في شهر رمضان، وغزا
 العدو في بلادهم، وفتح المدائن والحضر، حتى قبضه الله
 إليه والأمة عنه راضون، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته، ثم
 ولَيَّ بعده عثمان بن عفان، فعمل في ست سنين بيته
 صاحبيه، ثم أحدث أحداثاً أبطل آخر منها أولاً^(٤)،
 واضطرب حبل الدين بعدها، فطلبها كل امرئ لنفسه، وأسرَّ
 كل رجل منهم سريرةً أبدتها الله عنه، حتى مضوا على ذلك،

(١) يذر: يترك.

(٢) يُعجم: يتأخر.

(٣) ضرب في الخمر ثمانين: جلد شاربها ثمانين جلدة.

(٤) أبطل آخر منها أولاً: أفسد في آخرها ما كان فعله خيراً في أولها.

ثم ولَيْ علي بن أبي طالب، فلم يبلغ من الحق قصداً، ولم يرفع له مناراً ومضى، ثم ولَيْ معاوية بن أبي سفيان لعِينُ رسول الله -^{عليه السلام}-، وابن لعِينِهِ، وحلف من الأعراب، وبقية من الأحزاب، مؤلَّف طليق، فسفك الدم والحرام واتخذ عباد الله خوَّلاً^(١)، ومال الله دُولاً، وبغي دينه عوجاً ودغلاً^(٢)، وأحلَ الفرج الحرام، وعمل بما يشتهيه، حتى مضى لسبيله، فعل الله به وفعَّل، ثم ولَيْ بعده ابنُه يزيد: يزيد الخمور، ويزيَّد الصقور، ويزيَّد الفهور، ويزيَّد الصيور، ويزيَّد القرود، فخالف القرآن، واتبع الكهان، ونادم القرد، وعمل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك لعنة الله، وفعل به وفعَّل، ثم ولَيْ مروان بن الحكم، طرِيدُ لعِينُ رسول الله -^{عليه السلام}- وابن لعِينِهِ، فاسق في بطنه وفرجه، فالعنوه والععنوا آباءه، ثم تداولها بنو مروان بعده، أهل بيت اللعنة، طرداً رسول الله -^{عليه السلام}- وقوم من الطلقاء، ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا التابعين لهم بإحسان، فأكلوا مال الله أكلاً، ولعبوا بدين الله لعباً، واتخذوا عباد الله عبیداً، يورث ذلك الأكبَرُ منهم الأصغر في لها أمة وأضيَّعها وأضْعَفَها! والحمد لله رب العالمين، ثم مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى، قد نبذوه

(١) خوَّلاً: أعداء.

(٢) دغلاً: فساداً.

وراء ظهورهم، لعنهم الله، فالعنوهم كما يستحقون، وقد ولـي عمر بن عبد العزيز، فبلغ ، ولم يكـذـبـ، وعجز عن الذي أظهرهـ، حتى مـضـى لـسـبـيلـهـ - ولم يـذـكـرـهـ بـخـيـرـ ولا شـرـ . ثم ولـي يـزـيدـ بنـ عـبـدـ الـمـلـكـ، غـلامـ ضـعـيفـ سـفـيـهـ^(١) غـيرـ مـأـمـونـ عـلـىـ شـيـءـ مـنـ أـمـورـ الـمـسـلـمـينـ، لـمـ يـلـغـ أـشـدـهـ، وـلـمـ يـؤـانـسـ رـشـدـهـ، وـقـدـ قـالـ اللهـ عـزـ وـجـلـ : ﴿فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفُعُوهُ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٢)، فـأـمـرـ أـمـةـ مـحـمـدـ فـيـ اـحـكـامـهـ وـفـرـوجـهـ وـدـمـائـهـ أـعـظـمـ مـنـ ذـلـكـ كـلـهـ، وـإـنـ كـانـ ذـلـكـ عـنـ اللهـ عـظـيـمـاـ، مـأـبـونـ^(٣) فـيـ بـطـنـهـ وـفـرـجـهـ، يـشـرـبـ الـحـرـامـ، وـيـأـكـلـ الـحـرـامـ، وـيـلـبـسـ الـحـرـامـ، وـيـلـبـسـ بـرـدـتـيـنـ قـدـ حـيـكـتـاـلـهـ، وـقـوـمـتـاـ عـلـىـ أـهـلـهـمـاـ بـأـلـفـ دـيـنـارـ وـأـكـثـرـ وـأـقـلـ، قـدـ أـخـذـتـ مـنـ غـيرـ حـلـهـاـ، وـصـرـفـتـ فـيـ غـيرـ وـجـهـهـاـ، بـعـدـ أـنـ ضـرـبـتـ فـيـهـاـ الـأـبـشـارـ^(٤)، وـحـلـقـتـ فـيـهـاـ الـأـشـعـارـ، وـاسـتـحـلـلـ مـاـ لـمـ يـحـلـ اللـهـ لـعـبـدـ صـالـحـ، وـلـاـ لـنـبـيـ مـرـسـلـ، ثـمـ يـجـلـسـ حـيـابـةـ عـنـ يـمـينـهـ، وـسـلـامـةـ عـنـ شـمـالـهـ^(٥)، تـغـيـيـانـهـ بـمـزـامـيرـ الشـيـطـانـ، وـيـشـرـبـ الـخـمـرـ الـصـرـاحـ الـمـحرـمةـ نـصـاـ بـعـيـنـهـاـ، حـتـىـ إـذـاـ أـخـذـتـ مـاـخـذـهـاـ فـيـهـ، وـخـالـطـتـ رـوـحـهـ

(١) الفـيـهـ: الجـاهـلـ.

(٢) سـوـرـةـ النـاءـ: (آيـةـ: ٦ـ).

(٣) مـأـبـونـ: منـشـغـلـ.

(٤) الـأـبـشـارـ: أيـ الـجـلـودـ.

(٥) حـيـابـةـ وـسـلـامـةـ: مـغـنـيـاتـ جـارـيـاتـ.

ولحمة ودمه، وغلبت سُورَتُها^(١) على عقله مزق حُلْيَتِه، ثم التفت إليهما فقال: أتأذنان لي أن أطير؟ نعم، فطر إلى النار، إلى لعنة الله وناره حيث لا يرُدك الله.

ثم ذكربني أمية وأعمالهم وسيرهم فقال: أصابرا إمرة ضائعة وقوما طغاما^(٢) جهالاً، لا يقumen لله بحق، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى، ويرون أنبني أمية أرباب لهم، فملکوا الأمر، وتسلطوا فيه تسلط ربوبية، بطشهم بطش الجبارية، يحكمون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويأخذون بالظن، ويعطلون الحدود^(٣) بالسفاعات، ويؤمنون الخونة، ويقصون ذوي الأمانة، ويأخذون الصدقة في غير وقتها على غير فرضها، ويضعونها في غير موضعها، فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله، فالعنوهم، لعنهم الله!

وأما إخواننا من هذه الشيعة فليسوا بإخواننا في الدين، لكن سمعت رسول الله عز وجل قال في كتابه: هيا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا^(٤). شيعة ظهرت بكتاب الله، وأعلنت الفرية على الله، لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن، ولا عقل بالغ

(١) سُورَتها: تأثيرها.

(٢) طغام: جهال.

(٣) الحدود: المحرمات الدينية.

(٤) سورة العجرات: (آية ١٣).

في الفقه، ولا تفتیش عن حقيقة الصواب، قد قلدوا أمرهم
 أهواهم، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه، وأطاعوه في
 جميع ما يقوله لهم، غيّا^(١) كان أو رشداً، ضلاله أو هدى،
 يتظرون الدول في رجعة الموتى، ويؤمنون بالبعث قبل
 الساعة، ويدعون علم الغيب لمخلوق، ولا يعلم أحدthem ما
 في داخل بيته، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه أو يحويه
 جسمه، ينقمون المعا�ي على أهلها، ويُعلمون إذا ظهروا
 بها، ولا يعرفون المخرج منها، جفاة^(٢) في الدين، قليلة
 عقولهم، قد قلدوا أهل بيته من العرب دينهم، وزعموا أن
 موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة، وتنجيهم من
 عقاب الأعمال السيئة ﴿فَاتَّهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفِكُون﴾^(٣). فأي
 الفرق يا أهل المدينة تتبعون؟ أو بأي مذاهبهم تقتدون؟ وقد
 بلغني مقالتكم في أصحابي، وما عبتموه^(٤) من حداثة سنّهم،
 وتحكم! وهل كان أصحاب رسول الله - ﷺ - المذكورون في
 الخير إلا أحداثاً شباباً؟ شباب والله مكتهلون في شبابهم،
 غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء

(١) غيّا: جهلاً، ضلاله.

(٢) جفاة: جاف، جهله.

(٣) سورة التوبة، (آية: ٣٠).

(٤) عبتموه: عاب الشيء: وجده عيناً.

عبادة^(١)، [وأطلاع سهر، باعوا أنفساً تموت غداً بانفس لا
تموت أبداً]^(٢)، قد نظر الله إليهم في جوف الليل، منحنية
أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر
الجنة بكى شوقاً، وكلما مر بآية من ذكر النار شهق خوفاً، كان
زفير جهنم بين أذنيه، وقد أكلت الأرض جماهم وركبهم،
ووصلوا كلال الليل^(٣) بكلال النهار، مصفرة الوانهم، ناحلة
 أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام، أنصاء عبادة، موفون
بعهد الله، منجزون لوعده، قد شروا أنفسهم، حتى إذا
التقت الكتبيتان وأبرقت سيفها فوقت سهامها^(٤)، وأشارعت
وما حملها لقوا شب الأسنة وشائك السهام، وظباء السيف
بنحورهم ووجوههم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قدما
حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، واختضبت محاسن
وجهه بالدماء، وعُفر جبينه بالثرى، وانحطت عليه الطير من
السماء، وتمزقته سباع الأرض، فكم من عين في منقار طائر،
طالما بكى صاحبها في جوف الليل، من خوف الله! وكم من
وجه رقيف وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد. ثم بكى وقال:

(١) أنصاء عبادة: جمع نغو، وهو في الأصل البعير المهزول من السفر،
والمراد أن العبادة هزلتهم فأغفتها.

(٢) هذا الجزء غير موجود في الأغاني وقد أثبته أحمد العوفي في كتابه (أدب
السياسة)، ص ٣٢٢ - ٣٢٣).

(٣) كلال: ثقب.

(٤) فوقت سهامها: رُكبت في الفوق، وهو موضع السهم من الوتر.

آءِ، آءِ على فراق الاخوان! رحمة الله على تلك الأبدان،
وادخل الله أرواحهم الجنان^(١).

٢ - نجدة بن عامر :

أ - بعض سيرته :

كان مع نافع بن الأزرق في الأهواز، إلى أن حدث انشقاق فيما بينهم حول مسائل أساسية منها: قتل أطفال المشركين، وتكفير القعد، وتحريم التقية، فانفصل نجدة عن نافع ومضى بأصحابه إلى اليمامة عام ستة وستين للهجرة، وهناك انقسم عليه أصحابه بعد فترة من الزمن واتبعوا أبا فديك مؤسس الفديكية، وقتلوا نجدة عام ثمانية وستين أو تسعة وستين للهجرة.

ب - نموذج : رسالته إلى نافع بن الأزرق بعد انفصالهما:

كتب نجدة إلى نافع الذي ظل بالأهواز: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن عهدي بك وأنت لليتيم كالاب الرحيم، وللضعف كالأخ البر، لا تأخذك في الله لومة لائم، ولا ترى معونة ظالم، كذلك كنت أنت وأصحابك، أما تذكر قولك: «لولا أني أعلم أن للإمام العادل مثل أجر رعيته، ما توليت أمر رجلين من المسلمين؟».

(١) الأصبهاني - الأغاني - ج ٢٣ - (ص ٢٤٠ - ٢٤٤).

فَلَمَا شَرِيتَ نَفْسَكَ فِي طَاعَةِ رَبِّكَ ابْتَغَاءَ رَضْوَانِهِ
وَأَصْبَتَ مِنَ الْحَقِّ فَصَّهُ^(١)، وَرَكِبْتَ مُرْهَ، تَجَرَّ^(٢) ذَلِكَ
الشَّيْطَانَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَثْقَلَ عَلَيْهِ وَطَأَهُ مِنْكَ وَمِنْ أَصْحَابِكَ،
فَاسْتَمَالَكَ وَاسْتَهْوَكَ وَاسْتَغْوَكَ وَأَغْوَاكَ فَغُوَيْتَ، فَأَكَفَرْتَ
الَّذِينَ عَذَرْتَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ قَعْدِ الْمُسْلِمِينَ وَضَعَفْتَهُمْ^(٣)،
فَقَالَ جَلَ ثَنَاؤُهُ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ وَوَعْدُهُ الصَّدِيقُ: لَيْسَ عَلَى الْفُسْفَاءِ
وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَعَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفَقُونَ حَرْجٌ، إِذَا
نَصَحُوا اللَّهُ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ سَمَّاهُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ، فَقَالُوا: مَا
عَلَى الْمُحْسِنِينَ فِي سَبِيلٍ.

ثُمَّ اسْتَحْلَلَتْ قَتْلُ الْأَطْفَالِ، وَقَدْ نَهَى
رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَنْ قَتْلِهِمْ، وَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ: 『وَلَا تَنْزِرْ وَازْرَةً
وَزْرَ أَخْرَى』 وَقَالَ فِي الْقَعْدَ خَيْرًا: وَفَضَلَ اللَّهُ مَنْ جَاهَدَ
عَلَيْهِمْ، وَلَا يَدْفَعُ مِنْزَلَةً أَكْثَرَ النَّاسِ عَمَلًا مِنْزَلَةً مِنْ هُوَ دُونَهِ، أَوْ
مَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا يَسْتُوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
غَيْرُ أُولَئِي الصَّرَرِ^(٤)، فَجَعَلُوهُمُ اللَّهَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَضَلَ عَلَيْهِمْ
الْمُجَاهِدِينَ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَرَأَيْتَ أَلَا تَؤْدِي الْأَمَانَةُ، إِلَى مَنْ خَالَفَكَ، وَاللَّهُ يَأْمُرُ أَنْ

(١) فَصَّهُ: قَلْبُهُ وَلِبْهُ.

(٢) تَجَرَّ: تَجَرَّاً.

(٣) ضَعَفْتَهُمْ: جَمْعُ ضَعِيفٍ، وَتَاءُ التَّائِيَّةُ لِلْمُبَالَغَةِ.

(٤) أُولَئِي الصَّرَرِ: أَصْحَابُ الْمَرْوَةِ وَالتَّقْدِيمِ لِلْمُجَاهِدَةِ.

تؤدي الأمانات إلى أهلها، فاتق الله وانظر لنفسك، واتق يوماً لا يجزي والدُّ عن ولده، ولا مولودٌ هو جازٌ عن والده شيئاً، فإنه عزَّ ذكره^(١) بالمرصاد وحكمه العدل، قوله الفصل، والسلام^(٢).

٣ - نافع بن الأزرق:

أ - حياته:

كان نافع بن الأزرق على رأس الخوارج الذين ذهبوا إلى الحجاز لنصرة عبد الله بن الزبير في حربه للأمويين هناك، ولما جاءهم موت يزيد بن معاوية في الشام، توادعوا، فتفرق الخوارج إذاك عن ابن الزبير لما بدا لهم من مخالفته إياهم في الرأي والعقيدة، فارت حل قسم منهم إلى البصرة وفيهم نافع بن الأزرق الحنفي، وقسم إلى اليمامة.

ومن البصرة تابع نافع خروجه مع بعض أصحابه الذين أمروه عليهم سنة أربع وستين للهجرة، ثم جرت معركة «دولاب» في العام نفسه بينه وبين جيش الأمويين، فقتل فيها نافع.

ب - نموذج من رسائله:

بعد انفصال نجدة بن عامر عنه، كتب هذا إلى نافع

(١) أَيَّ اللَّهُ.

(٢) الطبرى - الكامل في اللغة والأدب. ج ٢ - (ص: ٢٠٩ - ٢١٠).

كتاباً^(١) يحتج فيه بآيات من القرآن تحرّم قتل الأطفال وتبيح القعود عن الجهاد وتسمح بالتفية.

ردّ نافع على نجدة بكتاب قال فيه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ。 أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتابُكُ
تَعْظِينِي فِيهِ وَتَذَكْرِنِي وَتَنْصُحُ لِي وَتَزْجُرُنِي^(٢) وَتَصْفُ مَا كُنْتُ
عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَمَا كُنْتُ أَوْثِرَهُ^(٣) مِنَ الصَّوَابِ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ
أَحْسَنَهُ، وَعَبَّتْ عَلَيَّ مَا دَنَتْ بِهِ مِنْ إِكْفَارِ الْقَعْدِ وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ،
وَاسْتَحْلَالِ الْأَمَانَةِ، فَسَأْفِرُ لَكَ لَمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

أَمَا هُؤُلَاءِ الْقَعْدُ فَلَيَسُوا كَمْنَ ذَكْرَتْ مِنْ كَانَ بِعَهْدِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - لَأَنَّهُمْ كَانُوا بِمَكَّةَ مَفْهُورِينَ، مَحْصُورِينَ، لَا
يَجِدُونَ إِلَى الْهَرْبِ سَبِيلًا، وَلَا إِلَى الاتِّصالِ بِالْمُسْلِمِينَ
طَرِيقًا. وَهُؤُلَاءِ قَدْ فَقِهُوهَا^(٤) فِي الدِّينِ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ،
وَالطَّرِيقَ لَهُمْ نَهْجٌ وَاضْعَفُ، وَقَدْ عَرَفْتَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
فِيمَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ إِذْ قَالُوا: كَنَا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ، فَقَيْلَ
لَهُمْ: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا، وَقَالَ فَرَحٌ
الْمُخْلِفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ . وَقَالَ: جَاءَ

(١) كتاب نجدة مثبت في الصفحات السابقة من البحث.

(٢) تزجرني: تنهرني.

(٣) أوثره: أعمل به.

(٤) فقهوا: أي عرفوا الفقه.

المعذرون^(١) من الأعراب ليؤذن لهم، فخَبِرَ بِتَعْذِيرِهِمْ وَأَنَّهُمْ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَقَالَ: سَيَصِيبُ الظَّالِمِينَ كُفُرُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، فَانظُرْ إِلَى أَسْمَائِهِمْ وَسَمَاتِهِمْ^(٢).

وَأَمَّا أَمْرُ الْأَطْفَالِ، فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ يَا نَجْدَةً مِنِّي وَمِنْكُمْ، فَقَالَ: رَبَّ لَا تَذَرْ^(٣) عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضْلِلُونَ عِبَادَكَ وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاجْرًا كُفَّارًا، فَسَمَاهُمْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ أَطْفَالٌ، وَقَبْلَ أَنْ يُولْدُوا، فَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ فِي قَوْمٍ نُوحٍ وَلَا نَكُونُ نَقُولَهُ فِي قَوْمِنَا، وَاللَّهُ يَقُولُ: أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بِرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ^(٤). وَهُؤُلَاءِ كَمْشُرُكِيَ الْعَرَبُ لَا نَقْبِلُ مِنْهُمْ جُزِيَّةً وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِلَّا السَّيفُ أَوِ الإِسْلَامُ، وَأَمَّا اسْتِحْلَالُ أَمَانَاتِ مَنْ خَالَفَنَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ لَنَا أَمْوَالَهُمْ كَمَا أَحَلَّ لَنَا دَمَاءَهُمْ، فَدَمَاؤُهُمْ حَلَالٌ طَلْقٌ، وَأَمْوَالُهُمْ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَاتَّقُ اللَّهَ وَرَاجِعُ نَفْسِكَ فَإِنَّهُ لَا عذرٌ لَكَ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ، وَلَنْ يَسْعَكَ خَذْلَانَا وَالْقَعْدَةُ عَنَا وَتَرَكُ مَا نَهَجَنَا لَكَ مِنْ طَرِيقَتِنَا وَمِقَالَتِنَا، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَمَرَ بِالْحَقِّ وَعَمِلَ بِهِ^(٥).

(١) المعذرون: مفردتها: معذر، يختلف الأعذار بتبرير ضعفه.

(٢) سماتهم: صفاتهم.

(٣) لا تذر: لا تُغْنِي.

(٤) الزُّبُر: جمع زبور، وهو السِّفْرُ والكتاب.

(٥) الطبرى - الكامل في اللغة والأدب - ج ٢ - (ص ٢١٠ - ٢١٢).

خامساً : تأثيرهم في الأدب والناس :

عُرف الخوارج بسعة اطلاعهم، وقوة ثقتهم بأنفسهم وإخلاصهم للمبدأ الذي حملوه، ونجد في كتب التاريخ والأدب أمثلة كثيرة تصور شجاعتهم وتفانيهم ، من ذلك ما روِي في العقد الفريد من أن الرجل منهم كان إذا طعن فأنفذه الرمح ، جعل يسعى نحو قاتله ويقول : «وعجلت إليك رب لترضى» .

وكان علي بن أبي طالب يقول لأصحابه في أواخر أيامه : «لا تقاتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحف فأخذوا ، كمن طلب الباطل فأدركه» ، يعني بذلك أن الخوارج كانوا على حق فيما يطلبون ولكنهم أخطأوا في اختيار الطريق ، وأن الأميين كانوا على باطل وقد أدركوه.

ولنستمع إلى عمر بن عبد العزيز يقول لبعض الخوارج : «إنني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا أو متاع ، ولكنكم طلبتم الآخرة فأخذتم سبيلاً»^(١) .

(١) أحمد أمين - فجر الإسلام (ص ٢٦٣).

أما عن مقدرتهم على التأثير فيمن حولهم، فيروى أن رجلاً من الخوارج أتى به إلى عبد الملك بن مروان، فحاول إقناعه ورده عن مذهبة، ولكن الرجل قال له: لتعنك الأولى عن الثانية، وقد قلت فسمعت، فاسمع أقْلُ. قال له: قُلْ، فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بيّنة ومعان قريبة. فقال عبد الملك بعد ذلك: «لقد كاد يُوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم وإنني أولى بالجهاد منهم»، وأخيراً أمر عبد الملك بحبسه وصفع عن قته وقال بعد يعتذر إليه: «لولا أن تفسد بالفاظك أكثر رعيتي ما حَبَسْتُك»^(١).

وكان الحسن البصري، أحد شيوخ المعتزلة لا يرى رأي الخوارج ولكنه كان يذكر عليها فيقول: «لم يَزَلْ أمير المؤمنين على رحمة الله يتعرفه النصر، ويُساعدُه الظفر حتى حُكِمَ، فَلِمَ تُحَكِّمُ وَالْحَقُّ مَعَكُ؟ أَلَا تَمْضِي قُدْمًا، لَا أَبَالَكْ وَأَنْتَ عَلَى الْحَقِّ»^(٢).

(١) العبرد - الكامل - (ج ٢ ص ١٧١).

(٢) م. س. (١٥٩).

خاتمة :

تلك هي مسيرة الخوارج التاريخية والأدبية على مدى قرن ونصف من الزمن، ابتدأت مع بداية الانقسام السياسي - الديني ، الذي ضرب بنية المجتمع الإسلامي منذ الخطوات الأولى لتركيز أوضاع الدولة الفتية بعد الانتصارات العسكرية - الدينية التي حققتها والتي جعلت منها دولة ذات مهابة في تلك الحقبة المتقدمة من تاريخ المنطقة والعالم ، وانتهت - عملياً - بعد استلام العباسيين لأمور الدولة وانهيار الحكم الأموي فيها.

وإذا كنتُ في هذه المحاولة المتواضعة ، قد طمحت إلى تقديم صورة واضحة عن هذه الفرقـة السياسية - الدينية من الناحيتين التاريخية والأدبية ، وتقديم شواهد حية عن آثارهم المتبقية شرعاً ونثراً ، فإنني أسأله عز وعلا أن أكون قد وفقت إلى هذا الهدف وهو الموفق وهو سواء السبيل .



مَكْتَبَةُ لِسَانُ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

رابط بديل
lisanerab.com

www.lisanarb.com

المصادر والمراجع

أ - المصادر :

- ١ - ابن منظور - لسان العرب - الجزء السابع - باب «رفض» - صادر - بيروت.
- ٢ - البيسطاني ، بطرس - دائرة المعارف - الجزء السابع - باب خوارج.
- ٣ - وحدي ، محمد فريد - دائرة معارف القرن العشرين - المجلد الثالث - باب «خرج» - دائرة معارف القرن العشرين.
- ٤ - الأشعري ، أبو الحسن - مقالات الإسلاميين - الجزء الأول - تحقيق محي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ط. ١ - ١٩٥٠ م - ١٣٦٩ هـ.
- ٥ - الأصبهاني ، أبو الفرج - الأغاني - طبعة بولاق - نشر صلاح الخليل - دار الفكر للجميع - بيروت ١٩٧٠ ، والأغاني تصوير مؤسسة جمال للطباعة - بيروت.
- ٦ - ابن خلدون - تاريخ ابن خلدون - الجزء الثاني والجزء الثالث (دون تاريخ).
- ٧ - البغدادي ، عبد القاهر - الفرق بين الفرق - مكتبة محمد

- علي صبيح - ميدان الأزهر - مصر - مطبعة المدنى - القاهرة (دون تاريخ).
- ٨ - البغدادي، عبد القاهر - الملل والنحل - تحقيق وتعليق البيه نصر نادر - دار المشرق - بيروت - ١٩٧٠ م.
- ٩ - الشهريستاني - الملل والنحل - الجزء الأول - تحقيق محمد كيلاني - مصر ١٩٦١.
- ١٠ - الطبرى، أبو جعفر محمد - تاريخ الأمم والملوك - مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت.
- ١١ - المُبرد - الكامل في اللغة والأدب - الجزء الأول والثانى - مكتبة المعارف - بيروت.
- ١٢ - علي بن أبي طالب - نهج البلاغة - شرح الشيخ محمد عبده - مطبعة كرم - دمشق.
- ١٣ - المسعودي، علي بن الحسين - مروج الذهب - تحقيق محمد محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة الإسلامية - بيروت.
- ١٤ - الأندلسى، أحمد بن محمد بن عبد ربه - العقد الفريد - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٣.

ب - المراجع

- ١ - أدونيس (علي أحمد سعيد) - مقدمة للشعر العربي - دار العودة بيروت ١٩٧١.
- ٢ - أمين، أحمد - فجر الإسلام - لجنة التأليف والنشر والترجمة - القاهرة ١٩٦٤.
- ٣ - تامر، عارف - القرامطة - مكتبة الحياة - بيروت (دون تاريخ).
- ٤ - حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٤٨.
- ٥ - أحمد عبد القادر شيبة - الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة - شركة المدينة للطباعة والنشر - جلة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م.
- ٦ - الحوفي، أحمد - أدب السياسة في العصر الأموي - طبعة ثالثة - دار النهضة مصر ١٩٦٩.
- ٧ - زيدان، جرجي - تاريخ أداب اللغة العربية - الجزء الأول - دار الهلال - القاهرة ١٩٥٧.
- ٨ - سرور، محمد جمال الدين - الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية - دار الفكر العربي - طبعة ثانية - القاهرة ١٩٦٤.

- ٩ - الشايب، الأحمد - تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني للهجرة - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٤٥ .
- ١٠ - ضيف، شوقي - العصر الإسلامي - دار المعارف بمصر - طبعة ثلاثة - ١٩٦٣ .
- ١١ - ضيف، شوقي - الفن ومذاهبه في الشعر العربي - دار المعارف بمصر - ١٩٦٥ .
- ١٢ - ضيف، شوقي - الفن ومذاهبه في التراث العربي - دار المعارف بمصر - ١٩٦٥ .
- ١٣ - عباس، إحسان - شعر الخوارج - دار الثقافة - بيروت (دون تاريخ) .
- ١٤ - قلماوي، سهير - أدب الخوارج في العصر الأموي - لجنة التأليف والنشر والترجمة - القاهرة - ١٩٤٥ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
أولاً : نظرة في التاريخ الإسلامي	٥
١ - زمن الرسول	٥
٢ - زمن الخليفة الأول	٧
٣ - زمن عمر بن الخطاب	١١
٤ - زمن عثمان بن عفان	١٤
٥ - زمن علي بن أبي طالب	١٧
ثانياً : مَنْ هُمُ الْخَوَارِج	
١ - في التسمية	٢٠
٢ - في عوامل الخروج	٢٢
أ - عوامل سياسية	٢٢
ب - عوامل اقتصادية	٢٣
ج - عوامل اجتماعية	٢٥
٣ - تاريخهم السياسي	٢٦
٤ - أشهر فرقهم	٤٤
أ - الأزارة	٤٥

ب - النجدات	٤٦
ج - الإباضية	٤٨
د - الصفرية	٤٩
ثالثاً: أدب الخوارج	
(١) - الأدب قبل الخوارج	٥٢
(٢) - آثار الخوارج الأدبية	٥٣
(٣) - موضوعات الأدب الخارجي	٥٥
أ - في الشعر	
١ - الشجاعة	٥٥
٢ - التحرير على الثورة	٥٧
٣ - رثاء القتلى	٥٩
٤ - تكفير مخالفتهم	٦١
٥ - التأسف لوقوع الخلاف	٦٣
٦ - نقد الحياة عامة	٦٤
ب - في الشر	
١ - الخطابة	٦٧
ألف - رأيهم بالخلفاء	٦٨
باء - تصوير شجاعتهم	٦٩
جيم - الحضن على الجهاد	٧٠
DAL - الحديث عن التقوى والأخلاق	٧١

٢ - الترسل	٧١
ألف - الخلاف بين الفرق الخارجية	٧٢
باء - الجدل مع بقية الأطراف	٧٣
جيم - الدعوة إلى الجهاد	٧٣
٣ - التناظر	٧٤
(٤) - خصائص الأدب الخارجي	٧٨
أ - ضياع الكثير منه	٧٩
ب - السياسة الدينية	٨٠
ج - تأثيرهم بالقرآن	٨٢
د - تمسكهم بالرابطة الجديدة	٨٣
ه - رفضهم التكسب في الشعر	٨٥
و - رقة عواطفهم وقوتها	٨٧
ز - الابتعاد عن التقليد	٩٠
ح - تشابك نسبة القصائد عندهم	٩١
ط - جزالة أساليبهم	٩٣
رابعاً : نماذج من أدبهم	٩٥
(١) - نماذج شعرية	٩٦
١ - عمران بن حطان	٩٦
أ - حياته	٩٦
ب - نماذج من شعره	١٠٠
- نموذج أول	١٠٠

١٠١	- نموذج ثان
١٠٥	- نموذج ثالث
١٠٦	- نموذج رابع
١٠٧	ج - خصائص شعره
١٠٨	٢ - الطرماح بن حكيم
١٠٨	أ - حياته
١١١	ب - نماذج من شعره
١١١	- نموذج أول
١١٢	- نموذج ثان
١١٣	- نموذج ثالث
١١٤	- نموذج رابع
١١٥	ج - خصائص شعره
١١٧	٣ - قطرى بن الفجاءة
١١٧	أ - حياته
١١٨	ب - نماذج من شعره
١١٧	- نموذج أول
١٢٠	- نموذج ثان
١٢٢	- نموذج ثالث
١٢٣	- نموذج رابع
١٢٥	ج - خصائص شعره
١٢٥	٤ - الرهين المرادي

١٢٦	٥ - عيسى بن فاتك الجبطي
١٢٨	٦ - يزيد بن حبّناء ..
١٢٩	٧ - ليلي بنت طريف ..
١٣١	٨ - عمّرة بن ذكينة ..
١٣٢	(٢) - نماذج ثرية ..
١٣٢	١ - أبو جحمة الخارجي ..
١٣٢	أ - حياته وسيرته ..
١٣٣	ب - خطبته في أهل المدينة ..
١٤٠	٢ - نجدة بن عامر ..
١٤٠	أ - بعض سيرته ..
١٤٢	٣ - نافع بن الأزرق ..
١٤٢	أ - حياته ..
١٤٢	ب - رسالته إلى نجدة ..
١٤٥	خامساً: تأثيرهم في الأدب والناس ..
١٤٧	خاتمة ..
١٤٩	المصادر والمراج



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

رابط بديل lisanerab.com